

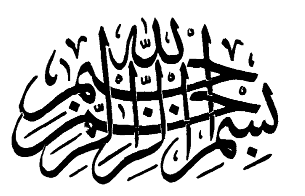
تأليف

أبي صهيب / سيد بن بيومي

راجعه وقدم له

فضيلة الشيخ / مصطفى بن العدوي

دار ابن رجب


بسم الله الرحمن الرحيم

أَدَبُ الطَّلَبِ

في القرآن والسنة وعند سلف الأمة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع ٢٠٠٦/١٥٦٠٣
الترقيم الدولى 977-390-092-4

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

مقدمة فضيلة الشيخ مصطفى بن العدوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

فهذا بحث يتعلق بأدب الطلب أعده أخي في الله الشيخ/ سيد بن بيومي - حفظه الله وبارك فيه - جمع مادته من كتاب الله عز وجل، ومن سنة رسوله ﷺ ، ومن أقوال سلفنا الصالح - رحمهم الله تعالى -.

وقد قمت معه - حفظه الله - بمراجعة عمله هذا فألفيته نافعًا مفيدًا، وكذا فقد قام بتخريج الأحاديث والآثار الواردة فيه والحكم عليها بما تستحقه صحة أو ضعفًا.

وقد راجعت معه ذلك **فكان موفقًا فيه ولله الحمد**.

فالله أسأل أن يبارك فيه، وأن ينفع بعمله المسلمين، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته وأعماله يوم يلقى الله.

هذا، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبد الله مصطفى بن العدوي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذه رسالة في أدب الطلب في القرآن والسنة وعند سلف الأمة. ومقصودها تلك الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم في نفسه ظاهرًا وباطنًا. ومع إخوانه، ومعلمه، ومجلس علمه، وغير ذلك من الآداب التي زادت على نحو أكثر من خمسين أدبًا. استدلالًا بكتاب الله وأقوال المفسرين. وسنة رسول الله ﷺ وأحوال السلف الصالح.

وقد أعددتها بناءً على تشجيع شيخي الجليل/ أبي عبد الله مصطفى بن العدوي.

وقد توافق هذا التشجيع شيئًا في نفسي. فجزاه الله خيرًا على توجهاته لطلبته وحرصه الدائم على إخراج ما ينفع المسلمين عامة وطلبة العلم خاصة، فنسأله سبحانه أن يحسن له الختام. ويقر عينه بذرية صالحة تكون للمتقين إمامًا. إنه ولي ذلك والقادر عليه، وأرجو من إخواني المحبين للعلم وكذلك طلبة العلم أن يوطنوا أنفسهم على هذه الآداب ويدربوا أنفسهم عليها رويدًا رويدًا حتى يصلوا إلى ذروتها، فإني رأيت في هذه الأيام أن الطالب بمجرد أن يرى إساءة واحدة من شيخه، إذا بالتلميذ ينقلب على معلمه، بل وينقَضُّ على معلمه انقضاضَ الأسد على فريسته. وقد نسي الطالب السنوات التي ضحَّى بها المعلم

لتعليمه. بل ونسي حق العلم ذاته. بل إنه قد يسب شيخه أو يحقره كلما ذكر اسم الشيخ بل قد يغتابه. وإنا لله وإنا إليه راجعون. فإنه ذلك فإنما يدل على شيء واحد، وهو أن هذا التلميذ لم يخالط قلبَه بشاشةُ العلم ولم يستضئ بنوره. لذا فقد سقط مع أول فتنة.

وأذكر هنا قصة وهي أن الإمام البخاري - رحمه الله - قد شنع عليه شيخه محمد بن يحيى الذهلي واتهمه بأنه يقول بخلق القرآن؛ بل وحجب الناس عن حضور مجالسه، فكيف تصرف البخاري مع شيخه؟

روى البخاري في «صحيحه» لشيخه عدة أحاديث وذكره باسمه، فهذا هو أدب الطلب، وإن دل فإنه يدل على وفور ديانة البخاري وأمانته؛ فإنه لم يحجبه تشنيع شيخه عليه بأن يذكر ما حمله عنه من علم، فجزى الله البخاري وشيخه خيرًا. «معجم المدلسين» (ص٢٦).

ولا أنسى في رسالتي هذه الدعاء لشيخي صاحب الخلق الطيب والسمت الحسن، الشيخ/ محمد بن عمر النحاس بأن يغفر الله له، ويحيطه برعايته، ويحفظه من شر عباده، إنه ولي ذلك ومولاه.

وأشكر في رسالتي هذه الأخ علي بن العسكري والأخ محمد بن إسماعيل على ما بذلاه معي في هذه الرسالة.

ونسأله سبحانه أن يحفظنا من سوء الأخلاق، وشماتة الأعداء، وأن يحسن لنا الختام. والله الموفق.

كتبه

أبو صهيب سيد بيومي

الفيوم - الشيخ حسن ٠١٢٢٨٨٨٣٠٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ.

أما بعد:

إن أعظم ما صرفت إليه الهمم وترك من أجله الترف والنعم هو تعلم العلم الشرعي، وقد قام بهذا العلم رجال - لِلَّه دَرُّهُم - بذلوا في تحصيله كل غال ورخيص، وعزيز ونفيس، فسافروا من أجله البلاد، وهجروا فيه لذيذ الرقاد، وفارقوا الأموال والأولاد. وأنفقوا فيه الطارف والتلاد، وصبروا فيه على النوائب والزلات. وتركوا لذة الطعام والشراب. وتركوا معاشرة الأهل والأصحاب.

لأن الله حبب ذلك إليهم؛ ليحفظ بذلك دينه في البلاد إلى يوم التناد.

وبعد: فهذه الرسالة تشتمل على آداب لطلاب العلم عامة والحديث خاصة، فهم أولى الناس بذلك، وذلك لكثرة سماع آذانهم أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، فهم أحق الناس قدوة به ﷺ.

وقد ركزنا في هذه الرسالة على أن تكون الآداب كلها أو أكثرها مستنبطة من كتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه ﷺ، ثم من أحوال وأقوال سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم.

وهذه الآداب منها ما يتعلق بظاهر هدي الطالب وسمته. ومنها ما يتعلق بباطنه وسريرته، ومنها ما يتعلق بما يحمله من هُدى، ومنها ما يجب أن يتحمله من خُلق تجاه نفسه وتجاه شيخه، ومنها ما يتعلق بإخوانه، ومنها ما يتعلق بمجلس شيخه وغيرها من الآداب، وهذا انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

فالأدب الظاهر عنوان الباطن. يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - في [مدارج السالكين (٢/ ٣٩١)]: أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استُجلب خيرُ الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استُجلب حرمانُهما بمثل قلة الأدب. فانظر إلى الأدب مع الوالدين كيف نجَّى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة[١]، والإخلال به مع الأم تأويلًا وإقبالًا على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم صومعته، وضرب الناس له ورميه بالفاحشة[٢].

---

(١)[صحيح]: أخرجه البخاري (٣/ ١١٩)، ومسلم (٢/ ١٧/ ٥٥) من حديث ابن عمر.

(٢)[صحيح]: أخرجه البخاري (٤/ ٢٠١)، ومسلم (١٦/ ١٠٦)، وأحمد (٢/ ٣٠٧) من حديث أبي هريرة.

قال ابن عمر: أدِّب ابنَك فإنك مسئول عنه: ماذا أدَّبتَه وماذا علَّمتَه؟ وهو مسئول عن بِرِّك وطواعِيتُه لك. [أورده ابن القيم في تحفة المودود (ص٢٢٠)].

يقول الشاعر:

لَيْسَ اليَتِيمُ الَّذِي مَاتَ وَالِدَاهُ   إِنَّ اليَتِيمَ يَتِيمُ العِلْمِ وَالأَدَبِ

قال سفيان الثوري: حسن الأدب يطفئ غضب الرب - عز وجل - [الحلية (٧/ ٧٩)].

قال ابن المبارك: إذا وصف لي رجل له علم الأولين والآخرين لا أتأسف على فوت لقائه. وإذا سمعت رجلًا له أدب النفس أتمنى لقاءه وأتأسف على فوته. [تذكرة السماع والمتكلم (ص٣)]. اهـ.

يقول أحد السلف: تأدَّب قبل أن تتعلم فإنك لن تنال من العلم طرفًا إذا لم تنل من الأدب أطرافه.

يقول الخطيب البغدادي في [مقدمة الجامع (١/ ٧٨)]: الواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس وأشد الخلق تواضعًا، وأعظمهم نزاهة وتدينًا، وأقلهم طيشًا وغضبًا. لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدثين ومآثر الماضيين، فيأخذوا بأجملها وأحسنها، ويصرفوا عن أرذلها وأدونها.

فمن هذا المنطلق نتكلم في هذه الرسالة عن:

«أَدبُ الطَّلَبِ فِي القُرآنِ وَالسُّنة وَعِنْدَ سَلفِ الأُمَّةِ»

وهذه الآداب منها آداب مجملة قد ذكرها الله سبحانه وتعالى عن نبيه

موسى - عليه السلام - مع الخضر - عليه السلام -.

وهي ما تضمنته سورة الكهف، قال سبحانه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٦٥ - ٧٠].

قال الفخر الرازي [في تفسير مفاتح الغيب جزء (٢١/ ١٥١)]: اعلم أن هذه الآيات تدل على أن موسى - عليه السلام - راعى أنواعًا كثيرة من الأدب واللطف عندما أراد أن يتعلم من الخضر منها:

١- أنه جعل نفسه تبعًا له لأنه قال ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾.

٢- أنه استأذن في إثبات هذه التبعية فإنه قال: هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعًا لك، وهذه مبالغة عظيمة في التواضع من الطالب إلى شيخه.

٣- أنه قال: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾، وهذا إقرار له على نفسه بالجهل وعلى أستاذه بالعلم.

٤- أنه قال: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾، وصيغة «من» للتبعيض. فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله، وهذا أيضًا مشعر بالتواضع، كأنه يقول لا أطلب منك أن تجعلني مساويًا في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني جزءًا من أجزاء علمك. كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءًا من أجزاء ماله.

٥- أن قوله تعالى: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ اعتراف بأن الله علمه ذلك العلم.

٦- أن قوله: ﴿رُشْدًا﴾، طلب منه للإرشاد والهداية. والإرشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية والضلال.

٧- أن قوله: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾، معناه أنه طلب منه أن يعامله

بمثل ما عامله الله به، وفيه إشعار بأنه يكون إنعامك عليَّ عند هذا التعليم شبيهًا بإنعام الله تعالى عليك في هذا التعليم.

٨- أن قوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾، يدل على أنه يأتي بمثل أفعال ذلك الأستاذ لمجرد كون ذلك الأستاذ آتيًا بها، وهذا يدل على أن المتعلم يجب عليه في أول الأمر التسليم وترك المنازعة والاعتراض.

٩- قوله: ﴿أَتَّبِعُكَ﴾، يدل على طلب متابعته مطلقًا في جميع الأمور غير مقيد بشيء دون شيء.

١٠- أنه ثبت بالأخبار أن الخضر عرف أولًا أنه نبي بني إسرائيل، وأنه هو موسى صاحب التوراة، وهو الرجل الذي كلَّمه اللهُ من غير واسطة وخصَّه بالمعجزات القاهرة الباهرة، ثم إنه - عليه السلام - مع هذه المناصب الرفيعة والدرجات العالية الشريفة أتى بهذه الأنواع الكثيرة من التواضع، وذلك يدل على أن كونه - عليه السلام - أتى في طلب العلم بأعظم أنواع المبالغة. وهذا هو اللائق به لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد، وكان تعظيمه لأرباب العلم أكمل وأرشد.

١١- ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾، فأثبت كونه تبعًا له أولًا، ثم طلب ثانيًا أن يعلِّمه، وهذا منه ابتداء بالخدمة، ثم في المرتبة الثانية طلب منه العلم.

١٢- قوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾، فلم يطلب على تلك المتابعة على التعليم شيئًا، كأنه قال لا أطلب منك على هذه المتابعة المال والجاه. ولا غرض لي إلا طلب العلم.

وقوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ فيه تواضع شديد وإظهار للتحمل التام.

وكل ذلك يدل على أن الواجب على المتعلم إظهار التواضع بأقصى الغايات. أما المعلم فإن رأى أن في التغليظ على المتعلم ما يفيده نفعًا وإرشادًا إلى الخير، فالواجب عليه ذكره فإن السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور والنخوة وذلك يمنعه من التعلم. أهـ. قلت: وهذه الآداب المذكورة في سورة «الكهف» مجملة، وأما التفصيل فقد قسمت هذا الكتاب أربعة أقسام كلها في أدب الطلب وهي على النحو التالي:

١- أدب الطالب مع الله.

٢- أدب الطالب في نفسه.

٣- أدب الطالب مع إخوانه.

٤- أدب الطالب مع شيخه.

معنى الأدب لغةً:

ذكر ابن منظور في «لسان العرب»[٣]: أن الأدب هو: الذي يتأدب به الأديب من الناس، سُمي أدبًا لأنه يؤدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح... والأدب أدب النفس والدرس.

شرعًا:

قال ابن حجر في «الفتح»[٤]: والأدب: استعمال ما يحمد قولًا وفعلًا، وعبر بعضهم عنه بأنه: الأخذ بمكارم الأخلاق... وقيل هو: تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك».

وإليك أولها:

(٣) (١/٤٣).
(٤) (١٠/٤٨٣).



طَرَفٌ مِنْ
أَدَبِ الطَّالِبِ مَعَ اللَّهِ

أَدَبُ الطَّالِبِ مَعَ اللَّهِ

١- الإخلاص في طَلَبِ العِلْمِ:

يجب على طالب العلم أن يخلص نواياه لله عز وجل في الطلب – ويبيت حسن النية فيه– ويبتغي بعلمه وجه الله عز وجل والدار الآخرة، فإن الله قال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. وفي الحديث القدسي يقول تعالى: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(٥).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**»، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا شَيْءَ لَهُ**»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»(٦).

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ**... منهم: **رَجُلٌ قَرَأَ لِيُقَالَ لَهُ قَارِئٌ، أَوْ تَعَلَّمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ**»(٧).

---

(٥) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٦) [إسناده حسن]: رواه النسائي (٣١٤٠) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، ورواه أبو داود (٢٥١٦) من حديث أبي هريرة وفيه ابن مكرز «مجهول».
والحديث له شاهد عند البخاري (١/ ٤٢)، ومسلم (٦/ ٤٦) من حديث أبي موسى بلفظ «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» وحسنه العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٥٨٧) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٢).

(٧) [صحيح]: رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٥)، وأحمد (٢/ ٣٢٢)، والحاكم (١/ ١٠٧)، وإتحاف (١٠/ ٤٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ للهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّم عِلْمًا مِمَا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ، لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عُرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» أي: ريحها[٩].

قال ابن القيم [مدارج السالكين (٢/ ٩٣)]: قال مكحول: ما أخلص عبد قط أربعين يومًا إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه.

وقال الخطيب البغدادي في [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ١٢٣)]: يجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في طلبه ويكون قصده بذلك وجه الله سبحانه.

وقال ابن جماعة في [تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (ص٦٨)]: قال النووي: ومن آداب طالب العلم أن يقصد بتعليمه وجه الله تعالى، ولا يقصد توصلًا إلى غرض دنيوي كتحصيل مال، أو جاه أو شهرة، أو سمعة، أو تميز عن الأشباه، أو تكثر بالمشتغلين عليه أو المختلفين إليه. أهـ.

---

(٨) [صحيح]: رواه البخاري (١/ ١)، ومسلم (١٩٠٧)، وأحمد (١/ ٤٣)، وابن ماجه (٤٢٢٧)، والدارقطني في السنن (١/ ٥٠)، والبيهقي في السنن (١/ ٢٩٨).

(٩) [إسناده ضعيف]: رواه أحمد (٢/ ٣٣٨)، وأبو داود (٣٦٦٤)، وابن أبي شيبة (٨/ ٧٣١)، وابن ماجه (٢٥٢) من حديث أبي هريرة، وفيه فليح بن سليمان وهو ضعيف، وله شاهد عند ابن ماجه (٢٥٤)، وابن حبان (٧٧)، والحاكم (١/ ٨٠)، والبيهقي في الشعب (١٦٣٥) من حديث جابر بن عبد الله، وفيه ابن جريج مدلس وقد عنعن، وفيه أيضًا أبو الزبير عن جابر وقد عنعن. ورواه الحاكم (١/ ٨٠) عن ابن جريج مرسلًا بسند صحيح من طريق عبد الله بن وهب. وله شاهد ثان عند الحاكم (١/ ٨٠) من طريق إسحاق بن يحيى بن عبيد الله، عن أبيه مرفوعًا، وإسحاق ضعفه الإمام أحمد والبخاري والترمذي.
وقد أعل الحديث أبو حاتم في العلل (٢٨١٩) وقال أبو زرعة: ورد من حديث أبي ذر مرفوعًا.
قلت: في طريق أبي ذر جهالة، من طريق رهط عنه.

قال ابن القيم في [الفوائد (ص١)]: العمل بلا إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا ينقله ولا ينفعه.

وفي [التمهيد] لابن عبد البر بسند حسن: قال حماد بن سلمة: من طلب الحديث لغير الله مُكر به.

قال عمر بن ذر لوالده: يا أبي مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة، وفقك الله لرشدك.

فقلت: فمن كان على هذه النية الخالصة فإن قوله مسموع وفي القلب مطبوع.

[قال ابن جماعة في تذكرة السامع]: حسن النية في طلب العلم يقصد به وجه الله تعالى والعمل به وإحياء الشريعة وتنوير قلبه وتحلية باطنه والقرب من الله تعالى يوم القيامة، والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه وعظيم فضله.

قال سفيان الثوري: ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي. اهـ.

ويقول الشوكاني - رحمه الله - في [الأدب (ص٢٤)]: فإن العلم طيب لا يقبل غيره. ولا يحتمل الشركة. والروائح الخبيثة إذا لم تغلب على الروائح الطيبة فأقل أحوالها أن تساويها. وبمجرد هذه المساواة لا تبقى للطيب رائحة. والماء الصافي العذب الذي يستلذه شاربه كما يكدره الشيء اليسير من الماء المالح فضلًا عن غير الماء من القاذروات. بل تنقص لذته مجرد وجود القذاة فيه ووقوع الذباب عليه. هذا على فرض أن مجرد تشريك العلم مع غيره له حكم هذه المحسوسات. وهيهات ذاك فإن من أراد أن يجمع في طلبه العلم بين قصد الدنيا والآخرة فقد أراد الشطط وغلط أقبح الغلط، فإن طلب العلم من أشرف أنواع العبادة وأجلّها وأعلاها، وقد قال

سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. اهـ.

٢- ومن أدب الطلب: اللجوءُ إلى الله - عزَّ وجلَّ - والتوجهُ إليه في تحصيلِ المُرادِ:

قال سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

قال القرطبي: أي فهمًا. وقد أثنى الله - عز وجل - على اثنين من أنبيائه ثم صوَّب أحدَهُما. قال سبحانه عن داود وسليمان: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، وعن الفهم قال: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

وقال سبحانه عن نبيه زكريا - عليه السلام -: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وفي الحديث قال ﷺ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»**[١٠].

---

(١٠) [حديث صحيح]: رواه مسلم (٢٧٢٢)، من حديث زيد بن أرقم مرفوعًا، ورواه أحمد (٣/ ٢٨٨) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، وفيه خلف بن خليفة قد اختلط والراوي عنه عفان. وقد رواه النسائي (٥٤٧٠) عن خلف بن خليفة أيضًا من طريق قتيبة، وقتيبة في طبقة من روى عنه قبل الاختلاط.
وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعًا عند النسائي (٥٤٦٧)، والحاكم (١/ ١٠٤)، وفيه سعيد بن أبي سعيد المقبري، وهو لين الحديث. وقد رواه النسائي (٥٥٣٦) من رواية سعيد المقبري، عن أبي هريرة، ولكن قال النسائي: لم يسمع سعيد هذا الحديث من أبي هريرة بل سمعه من أخيه عن أبي هريرة، وله شاهد آخر من حديث ابن عباس مرفوعًا عند ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣١)، وفيه يونس بن خباب وهو ضعيف وعمرو بن مجمع لا يتابع على حديثه.
ورواه الترمذي (٣٤٨٢)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه عن عبد الله بن عمرو ولكن فيه زهير بن الأقمر وهو لين الحديث. ورواه أبو حاتم في العلل (٢/ ١٩٩)، من حديث ابن مسعود مرفوعًا ولكن فيه عبد الله بن الحارث لم يسمع من ابن مسعود وفيه حميد بن عطاء =

وعند ابن أبي خيثمة في العلم بسند صحيح عن أبي الدرداء: إنما العلم بالتعلُّم والحلم بالتحلُّم.

وقال ابن القيم: وكان شيخ الإسلام ابن تيمية إذا استصعبت عليه مسألة قال: «اللهم يا معلم آدم وإبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني، فيجد الفتح في ذلك». «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٥٥).

٣- ومن أدبِ الطلبِ: مُراقبةُ الله - عزَّ وجلَّ - في السر والعلانيةِ:

قال الله - عز وجل -: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٩١): أي خافوه وراقبوه واتبعوا أمره واتركوا زجره ويعلمكم الله.

وكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩]. اهـ.

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»(١١).

قال مالك بن أنس: حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية. والعلم حسن لمن رُزق خيره(١٢).

= وهو ضعيف الحديث. ولكن الحديث على كلٍّ قد ثبت من رواية مسلم عن زيد بن أرقم. والله أعلم. اهـ.

(١١) [حديث صحيح]: رواه أحمد (٣/ ١٧٧)، وعبد بن حميد (١١٧٦)، والدارمي (٢٧٤٤)، والبخاري (١/ ١٠)، ومسلم (٧٧١)، وابن ماجه (٦٧)، والنسائي (٨/ ١١٤) كلهم من حديث أنس بن مالك.

(١٢) موسوعة نضرة النعيم (٥/ ٣٣٦٩).

وقال الحسن البصري: رحم الله عبدًا وقف عند همه. فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر[١٣].

قال ابن جماعة: القلب المشحون بالذنوب لا يستطيع استقبال الملائكة، ولا يبقى فيه مكان للعلم الذي هو نور يقذفه الله في قلوب من أراد.

قال القاسم بن محمد: كنا نسافر مع ابن المبارك، فكثيرًا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة، إن كان يصلي إنا لنصلي، ولئن كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج...

حتى كنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذ طفئ السراج، فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح، فمكث هنيهة، ثم جاء بالسراج، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت بالدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة.

قال المروزي: وسمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: ما رفع الله ابن المبارك إلا بخبيئة كانت له. [صفوة الصفوة (٤/ ١٤٥)].

٤- ومن أدبِ الطَّلبِ: أن يكونَ قصدُه تحصيلَ علمِ الدينِ:

قال الشوكاني في [الأدب (ص٢٥)]: ومن أهم ما يجب على طالب العلم تصوره عند الشروع. واستحضاره عند المباشرة، بل وفي كل وقت

(١٣) موسوعة نضرة النعيم (٨/ ٣٣٦٩).

من أوقات طلبه مبتدئًا ومنتهيًا، متعلمًا وعالمًا أن يقر في نفسه أن هذا العمل الذي هو بصدده هو تحصيل العلم الذي شرعه الله لعباده، والمعرفة لما تعبدهم في محكم كتابه، وعلى لسان رسوله. والوقف على أسرار كلام الله عز وجل ورسوله ﷺ، وأن هذا المطلب الذي هو بسبب تحصيله ليس هو من المطالب التي يقصدها من هو طالب للجاه والمال والرئاسة بل هو مطلب يتاجر به الرب سبحانه. اهـ.

أي يحصل بسببه على الأجر والثواب من الله عز وجل.

٥- ومن أدبِ الطَّلبِ: التأدبُ في النقلِ عنِ الله تعَالى:

فيجب على الطالب أن ينسب إلى ربه كل طيب وجميل؛ فإنه سبحانه له الكمال المطلق ولا ينسب إلى ربه ما فيه سوء ولو احتمالًا. وإليك بعض النماذج على ذلك:

قال سبحانه عن الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨١]. فانظر إلى قوله: ﴿يَهْدِينِ﴾ . . . ﴿يُطْعِمُنِى﴾ . . . ﴿وَيَسْقِينِ﴾ . . . ﴿يَشْفِينِ﴾ . . . فنسب كل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، ولكنه لما جاء إلى المرض نسبه إلى نفسه فقال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾.

ونحو ذلك قول الخضر - عليه السلام - لموسى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] فألصق عيب السفينة لنفسه؛ ولكن جاء عند ذكر الجدار فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا

وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢].

وقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ١٠]. فنسبوا الرشاد إلى الله والشر إلى غيره مع أن الله هو خالق الخير والشر؛ لذا قال رسولنا ﷺ: «**والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**» حديث صحيح.

فلابد أن يحترز الطالب في ألفاظه في هذا الباب غاية الاحتراز. [«أدب التخاطب» لشيخنا أبي عبد الله مصطفى بن العدوي].

❋ ❋ ❋

طَرَفٌ مِنْ
أَدَبِ الطَّالبِ مَعَ نَفْسِهِ

أَدَبُ الطَّالبِ مَعَ نَفْسِهِ

٦- ومِنْ أدبِ الطَّلبِ: أن يتحَلَّى بقولِ «اللهُ أعلمُ»:

فالطالب لا يتجرأ على الفتيا في مرحلة الطلب، فهو مازال لا يصلح لهذا الغرض، يقول سبحانه: ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢].

وقد ذم الله من تقوَّل عليه بغير علم فقال: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩].

وفي الصحيح أن موسى – عليه السلام – لما سُئل مَنْ أعلم الناس؟ فقال: أنا، فعاتبه الله أنه لم يكل العلم إليه سبحانه، فأرسله إلى من هو أقل منه درجة ليتعلم منه [رواه البخاري ومسلم (١/ ٧٥)].

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ إذا سُئل أحدهم عن الشيء أحب أن يكفيه صاحبه [أخرجه الدارمي (١٣٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١٦٣) بسند صحيح].

٧- ومنْ أدبِ الطَّلبِ: الانشغالُ بالذكرِ وقتَ الخمولِ:

فالطالب في العلم تارة –وفي الذكر أخرى– ويحدث نفسه بنعم الله عز وجل عليه ثالثة؛ لأن هذا يقتضي شكر النعم، قال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ

لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال رسول الله ﷺ: «**لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»[١٤].

❁ ❁ ❁

(١٤) [صحيح بمجموع طرقه]: رواه أحمد (٢/ ٢٥٨)، والطيالسي (٢٤٩١)، والبخاري في الأدب المفرد (٢١٨)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن حبان (٣٤٠٧) وصححه أبو نعيم في الحلية (٣٨٩١٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤١٧).

والحديث له شاهد عند أحمد (٥/ ٢١١)، من حديث الأشعث بن قيس. ولكن فيه زياد بن كليب لم يسمع من الأشعث. وشاهد ثانٍ عند أحمد (٣/ ٧٣) عن أبي سعيد الخدري. وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو ضعيف.

وفيه علة أخرى: وهي ضعف عطية العوفي. وشاهد ثالث من زوائد عبد الله ابن الإمام أحمد على المسند (٤/ ٢٧٨) من حديث النعمان بن بشير. ولكن فيه أبو عبد الرحمن الراوي عن الشعبي مجهول، وفيه كذلك الجراح بن مليح والد وكيع، وهو ضعيف.

ولكن الحديث [صحيح بمجموع طرقه] والله أعلم.

«أخي طالبَ العلم» ما العلمُ النافعُ؟ وما صفتُهُ؟ ومَا علاماتُه؟

اعلم أخي رحمك الله:

أن العلم النافع هو الذي يدلك على الله، ويعرفك بحقه وحق رسوله ﷺ، وحق أصحابه الكرام عليك.

قال ابن مسعود: إن أقوامًا يقرءون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع.

قال الحسن البصري: العلم علمان، فعلم على اللسان، فذاك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب فذاك العلم النافع.

قال الإمام أحمد: معروف الكرخي معه أصل العلم: خشية الله.

قال ابن رجب: فمن تحقق بخشية في قلبه لله، وتمسك في ظاهره بالكتاب والسنة فقد حَصَّل العلم النافع[١٥].

أما علاماته:

١- أنه يدلك أخي على الهرب من الدنيا، والهرب من حب الشهرة والرياسة، ومن الداء الخفي وهو حب المدح.

قيل للإمام أحمد: من أي شيء تخاف؟ قال: من اشتهار الاسم وبُعد الصيت.

---

(١٥) بيان فضل علم السلف على علم الخلف (ص٤٠) لابن رجب الحنبلي.

٢- **ومن علاماته**: أنك أخي لا تدعي العلم ولا تفخر به على أحد، ولا تنسب الجهل إلى غيرك، إلا من خالف السنة وأهلها، فإنك عند ذلك تتكلم غضبًا لله لا لنفسك، ولا قصدًا لرفعتها على أحد.

٣-**ومن علاماته**: أنك لا تظن مجرد ظن أنك تفضل على من سبقك في العلم. فإن أبا حنيفة قيل له: أيهم أفضل علقمة أم الأسود؟ فقال: والله ما نحن بأهل أن نذكرهم، فكيف نفضل بينهم.

وكان ابن المبارك إذا ذكر حال السلف الصالح قال:

لاَ تَعْرِضْنْ لِذِكْرِنَا فِي ذِكْرِهِمْ ... لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَى كَالمُقْعَدِ

٤- **ومن علاماته**: أنك لا تتكلم إلا بالنذر اليسير، فعليك بالسكوت حتى يقال عنك: أنك مريض، وما أنت بمريض، ولكنك فقيه مسلم.

قال إياس بن معاوية: ما من أحد لا يعرف عيب نفسه، إلا وهو أحمق. قيل له: فما عيبك؟ قال: كثرة الكلام(١٦).

فلابد للمؤمن من صبر قليل حتى يصل إلى راحة طويلة، فإن جزع ولم يصبر فهو كما قال ابن المبارك: من صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يتمتع.

قال الشافعي - رحمه الله -:

يَا نَفْسُ مَا هِي إِلَّا صَبْرُ أَيَّامِ ... كَـأَنَّ مُـدَّتَـهَـا أَضْـغَـاثُ أَحْـلَامِ

يَا نَفْسُ جُوزِي عَنِ الدُّنْيَا مُبَادَرَةً ... وَخَلِّ عَنْـهَـا فَإِنَّ العَيْشَ قُدَّامُ

❁ ❁ ❁

---

(١٦) المصدر السابق.

٨- ومن أدبِ الطلبِ: أن يعملَ بما يقتضِيهِ علمُه:

لأن الله قد ذم من ترك العمل بما علم.

قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة: ٤٤].

وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ: «**يَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَى رَجُلٍ يَجُرُّ نَصْبَهُ فِي النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**».

وعند مسلم (٤/ ٢٠٨٨) قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**».

قال أبو الدرداء: إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي قد علمت، فماذا عملت فيما علمت.

وقال إسماعيل بن إبراهيم بن مجمع: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به. [اقتضاء العلم والعمل (ص٩٠)].

وقال الإمام أحمد: ينبغي للطالب أن يكثر العمل به على قدر زيادته في الطلب. ثم قال: سُبُل العلم مثل سبل المال، إن المال إذا ازداد ازدادت زكاته.

وقالت أم سفيان الثوري لولدها سفيان: يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر، هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم تر ذلك، فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك. [صفوة الصفوة (٣/ ١٨٩)].

وقال عمرو بن قيس الملائي: إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به، ولو مرة تكن من أهله. [الجامع للخطيب (١/ ١٤٤)].

وعن عاصم بن عصام البيهقي قال: بتُ ليلة عند أحمد بن حنبل، فجاء الماء فوضعه. فلما أصبح نظر إلى الماء، فإذا هو كما كان، فقال: سبحان الله، رجل يطلب العلم لا يكون له ورد من الليل. [الجامع للخطيب (١/ ١٤٣)].

قال الآجُري في [أخلاق العلماء (ص٥٢)]: وكلما ازداد الطالب علمًا ازداد إشفاقًا على نفسه ؛ لأن العلم أثبت عليه الحجة.

قلت: كما قال رسول الله ﷺ: **«عَرَفْتَ فَالْزَمْ»**(١٧).

قال القرطبي (١٨/ ٨٠): وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار عن ثمامة أن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَتَيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ كُلَّمَا قُرِضَتْ وَفَتْ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلَ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَءُونَ كِتَابَ اللهِ وَلَا يَعْلَمُونَ»**(١٨).

---

(١٧) [إسناده ضعيف]: رواه عبد بن حميد (٤٤٤) من حديث الحارث بن مالك مرفوعًا وفيه ابن لهيعة (ضعيف)، ورواه ابن أبي شيبة (١١/ ٤٢) من حديث عوف بن مالك مرفوعًا وفيه أبو معشر المدني (ضعيف)، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٤٢) من حديث معاذ بن جبل مرفوعًا وفيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان (لين الحديث) وأبوه (منكر الحديث) والله أعلم.

(١٨) [سنده ضعيف]: رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٨٦)، والسيوطي في الجامع الصغير (١/ ١٢٩)، والقرطبي في تفسيره (١٨/ ٨٠) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا، ولكن في سنده المغيرة بن حبيب قال عنه الأزدي: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يغرب، ووافق على ذلك =

وفي شرح منظومة الآداب(١٩):

وَكُنْ عَامِلا بِالعِلْمِ فِيمَا اسْتَطَعْتَهُ لِيَهْدِي بِكَ المَرْءُ الَّذِي بِكَ يَقْتَدِي
وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى نَفْعِ الوَرَى وَهُدَاهُمْ تَنَل كُلَّ خَيْرٍ فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدِ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، فذنبه من جنس ذنب اليهود.

والحاصل أن الناس في هذا الباب على أربعة أقسام:

١) من رزق علمًا وأُعين بقوة العزيمة على العمل به وهم خلاصة الخلق ومراد الحق جل شأنه في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٢) من حُرِمهما معًا وهم شر الدواب عند الله الصمَّ البكم الذين لا يعقلون، فهؤلاء شر البرية يضيقون الديار ويغلون الأسعار وعند أنفسهم هم يعلمون، ولكن ظاهرًا من الحياة الدنيا، فهم عن الآخرة هم غافلون، كما قيل فيهم وفي أضرابهم وجلهم إذا فكرت فيهم حمير أو كلاب أو ذئاب وكقول البحتري:

لَمْ يُبْقِ مِنْ جُلِّ هَذَا النَّاسُ بَاقِيةٌ يَنَالهَا الوَهْمُ إِلَّا هَذِهِ الصُّوَرُ

٣) من فتح له باب العلم وأُغلق عنه باب العمل والعزم فهذا في رتبة الجاهل بل هو شر منه، وعند أبي نعيم مرفوعًا: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابا يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ**»(٢٠) فهذا جهله وعمله سواء بل ربما كان جهله

= ابن حجر في تعجيل المنفعة (١٠٦٠)، والذهبي في الميزان، فالحديث سنده ضعيف، والله أعلم.

(١٩) منظومة الآداب (للعلامة السفاريني) ص(٢٩٣).

(٢٠) رواه ابن عبد البر في جامعه (١/ ١٦٢) وفيه عثمان بن مقسم البري ضعفه الإمام أحمد والنسائي.

أخف لعذابه من علمه فما زاده العلم إلا وبَالًا مع عدم الطمع في صلاحه بخلاف التائه عن الطريق فإنه يُرجى له العود إليها إذا أبصرها وأما من رآها وحاد عنها فمتى ترجى هدايته؟.

٤) من رزق حظًّا من العمل والإرادة ولكن قل نصيبه من العلم والمعرفة فهذا إذا وافق له الاقتداء بداعٍ من الله ورسوله كان من الذين قال فيهم الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾[٢١] ويقال: «إذا فسد العالِمُ فسد لفساده العَالم» اهـ، وقد كان بعض السلف يقول: لقد هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

٩- ومن أدبِ الطَّلبِ: تزكيةُ النفسِ بالعبادةِ:

قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

وهذا كان حال رسول الله ﷺ، فإنه قام الليل حتى تورمت قدماه، فقالت له عائشة: هون عليك يا رسول الله فقال: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[٢٢].

وقال ﷺ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[٢٣].

---

(٢١) سورة النساء: (٦٩).

(٢٢) [حديث صحيح]: رواه أحمد (٦/ ١١٥)، والبخاري (٦/ ١٦٩)، ومسلم (٨/ ١٤١).

(٢٣) [إسناده حسن]: بلفظ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ الطِّيبُ والنِّسَاء وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيني في الصَّلاةِ**»، من حديث أنس بن مالك، رواه أحمد (٣/ ١٢٨)، والنسائي (٧/ ٦١- ٦٢)، والحاكم (٢/ ١٦٠)، وأبو يعلى (٣٤٨٢)، والطبراني في الأوسط (٥١٩٩)، وابن أبي عاصم في الزهد (٢٣٥)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (٢٢٩). وأخرجه عبد الرزاق (٧٩٣٩) عن سليمان ابن طرخان وليث بن أبي سليم، عن النبي ﷺ مرسلًا.

وإليك حال اثنين من كبار علماء الصحابة:

فعن نافع قال: كان ابن عمر يحيي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: نعم فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح[٢٤].

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يختم القرآن في ثلاث، وواظب على ذلك وهو كبير السن حتى أدركته الوفاة[٢٥].

فطالب العلم ينبغي أن يكون له قسط من الصيام والصلاة في الليل، والصدقة وأداء العمرة والحج وغير ذلك من العبادات.

١٠- الصَّبرُ على الرحْلةِ في طلبِ العلمِ:

قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠].

قال ابن كثير في [تفسيرة (٣/ ٢٩)] «بتصرف»: سبب قول موسى لفتاه وهو يوشع بن نون هذا الكلام، أنه ذكر له أن عبدًا من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم ما لم يحط به موسى، فأحب الرحيل إليه وقال لفتاه ذلك: لا أزال سائرًا حتى أبلغ ذلك المكان الذي هو عند مجمع البحرين،

---

(٢٤) [إسناده صحيح]: رواه ابن سعد في الطبقات بسند صحيح، وفي الحلية بسند جيد عن نافع، وصححه ابن حجر في الإصابة (٤/ ١٦٠).

(٢٥) [إسناده حسن]: رواه أبو داود (١٣٩١) بسند حسن، وعند أحمد (٢/ ١٥٨) بسند صحيح أن النبي ﷺ قال له «اقْرَأْهُ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ». والحديث قال عنه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٥٨): حسن صحيح، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «لاَ يَفقَهُ مَنْ قَرَأَ القُرْآن فِي أَقلّ مِنْ ثَلاَثٍ». رواه أبو داود (١٣٩٢) بإسناد صحيح على شرط الشيخين من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا، والله أعلم.

أو أمضي حقبًا من الزمان...

قال عبد الله بن عمرو: الحقب: ثمانون سنة. وعن ابن عباس دهرًا... والله أعلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا؛ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»(٢٦).

وقد بوب الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في «صحيحه» فقال [باب الخروج في طلب العلم] قال: ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد، وهو قوله ﷺ: «**يَحْشُرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً غُرلاً بُهْمًا**»، قلنا: وما بُهْمًا؟ قال: «**لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ أَنَا «الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ**»(٢٧).

قال ابن حجر: وفي هذا الحديث دلالة على ما كان عليه الصحابة من

---

(٢٦) [إسناده صحيح]: رواه أحمد (٥/ ١٩٦)، والدارمي (٣٤٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) من حديث أبي الدرداء مرفوعًا ولكن فيه كثير بن قيس وهو ضعيف. ولكن للحديث شاهدًا بلفظه عند مسلم (٨/ ٧١) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢٧) [حسن بمجموع الطريقين]: رواه أحمد (٣/ ٤٩٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٠)، وفي خلق أفعال العباد [٥٩]، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني رقم (٢٠٣٤)، والحاكم (٢/ ٤٣٧) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. والبيهقي في الأسماء والصفات مختصرًا [٧٨] من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (ص١٢٢)، والطبراني في مسند الشاميين (١٥٦) من حديث محمد بن المنكدر عن جابر وقال ابن حجر في الفتح (١/ ١٧٤) إسناده صالح، فالحديث حسن بمجموع الطريقين والله أعلم.

تنبيه: هذا الحديث قد أخرجه البخاري معلقًا في صحيحه بصيغة الجزم عند ذكر قصة رحلة جابر بن عبد الله في طلب العلم ثم ذكرها بصيغة التمريض عند ذكر طرفًا من المتن وهذا لدقته رحمه الله تعالى. فإن إسناد رحلة جابر حسن، بينما ذكر المتن فيه اختلاف فذكره بصيغة التمريض.

الحرص على تحصيل السنة النبوية.

فحديث جابر يحكيه هو بنفسه فيقول: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ، فاشتريت بعيرًا ثم شددت عليه رحلي، فسرت إليه شهرًا حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أُنيس فقلت للبواب: قل له جابر على الباب. فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم. فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديثًا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص. فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه. قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: . . . فذكر الحديث.

ففي هذه الرحلة فوائد منها:

١- أن جابرًا بذل المال في سبيل العلم حيث اشترى بعيرًا.

٢- ثم بذل الوقت حيث سافر شهرًا.

٣- ثم استخدم الأدب في الطلب وهو الوقوف على باب معلمه والاستئذان.

٤- الرفق في الطلب مع تذكرة الآخرة بذكر الموت. اهـ.

قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟ فقال: بنفي الاعتماد والسير في البلاد. وصبر كصبر الحمام، وبكور كبكور الغراب [ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ].

قال ابن الجوزي في صيد الخاطر (١/ ٢٥٠): طاف الإمام أحمد بن حنبل الدنيا مرتين حتى جمع المسند.

وسأل أبو خراش بالمصيصة عبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن إلى متى تطلب العلم ؟

قال: لعل الكلمة التي فيها نجاتي لم أسمعها بعد. [صفة الصفوة (٤/ ١٣٨)].

قال أبو طاهر السلفي:

أَنَـا مِـنْ أَهْـلِ الـحَـدِيـثِ وَهُـمْ خَـيْـرُ فِـئَـةٍ
جـزْتُ تِـسْـعِـيـنَ وَأَرْجُـو أَنْ أَجُـوزَ الـمِـئَـةَ

١١- ومن أنواع الصبر: الصَّبرُ على تَحمُّلِ المشاق:

فقد قال سبحانه عن نبيه موسى – عليه السلام–: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢].

وعند البخاري (٨٥) من حديث أبي هريرة قال: إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم. وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺبشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون.

قال ابن حجر في الفتح (١/ ٢٧٠): في هذا الحديث أن التقلل من الدنيا أمكن لحفظ العلم.

قال الإمام مالك: لا ينال هذا الأمر حتى يذاق فيه طعم الفقر.

وقال الشافعي:

أَمْطِرِي لُؤْلُؤًا سَمَاءَ سَرَنْدِيبَ وَفِـيـضِـي آبَـارَ تَـكْـرُورَ تِـبْـرًا
أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أَعْدِمُ قُوتًا وَإِذَا مِـتُّ لَـسْـتُ أَعْـدِمُ قَـبْـرًا
هِـمَّتِي هِـمَّةُ الـمُلُوكِ وَنَفْسِي نَفْسُ حُرٍّ تَرَى المَذَلَّةَ كُفْرًا

وَإِذَا مَا قنعَتَ بِالوَقْتِ عُمْرِي فَلِمَاذَا أَزُورَ زَيْدًا وَعَمْرًا

قال يحيى بن أبي كثير: لا يستطاع العلم براحة الجسم [رواه مسلم].

قال نصر السمرقندي: لا ينال هذا العلم إلا من عطل دكانه، وخرب بستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب أهله إليه فلم يشهد جنازته.

قال ابن هشام النحوي:

وَمَنْ يَصْطَبِرْ لِلْعِلْمِ يظْفَرْ بِنَيْلِهِ وَمَنْ يَخْطُبِ الحَسْنَاءَ يَصْبِرْ عَلَى البَذْلِ

وَمَنْ لَمْ يُذِلَّ النَّفْسَ في طَلَبِ العَلَا يَسيرًا يَعِشْ دَهْرا طَوِيلًا أَخَا ذُلِّ

وفي مقدمة [الجرح والتعديل (١/ ١٠٠)]: أن أبا بكر بن أسلم رحل من نيسابور إلى مرو ليكتب عن الإمام عبد الله بن المبارك فكتب أبياتًا وأرسلها إلى ابن المبارك فقال له:

خَلَّفْتُ عُرْسِي يَوْمَ السَّيْرِ بَاكِيَةً يَا ابْنَ المُبَارَكِ تَبْكِينِي بِرَنَّاتِ

خَلَّفْتُهَا سَحَرًا فِي النَّوْمِ لَمْ أَرَهَا فَفِي فُؤَادِي مِنْهَا شِبْهُ كَيَّاتِ

أَهْلِي وَعَرُوسِي وَصِبْيَانِي رَفَضْتُهُمْ وَسِرْتُ نَحْوَكَ فِي تِلْكَ المَفَازَاتِ

أَخَافُ وَاللَّهِ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ بِهَا وَمَا آمَنْتُ بِهَا مِنْ لَدْغِ حَيَّاتِ

مُسْتَوفِزَاتٍ بِهَا رِقْشٌ مُشَوَّهَةٌ أَخَافُ صَوْلَتَهَا فِي كُلِّ سَاعَاتِي

اجْلِسْ لنَا كُلَّ يَوْمٍ سَاعَةً بَكْرًا إِنْ خَفَّ ذَاكَ وَإِلَّا بِالعَشِيَّاتِ

يَا أَهْلَ مَرْو أَعِينُونَا بِكَفِّكُمْ عَنَّا وَإِلَّا رَمَيْنَاكُمْ بِأَبْيَاتِ

لَا تَضْجِرُونَا فَإِنَّا مَعْشَرَ صُبُرٌ وَلَيْسَ نَرْجُو سُوى رَبِّ السَّمَوَاتِ

❖ ❖ ❖

١٢- الصبرُ على الجوعِ والعطشِ عندَ الطَّلبِ:

يقول ابن الجوزي في [صيد الخاطر (٢/ ٣٣٠)]: ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو.

وَمَنْ تَكُنِ العَلْيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ   فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ

كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغف يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى «بغداد»، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث رسول الله ﷺ وأحواله وآدابه وأحوال أصحابه وتابعيهم.

١٣- الصَّبرُ على قلةِ المالِ في سبيلِ الطَّلبِ:

قال شعبة بن الحجاج: من طلب الحديث أفلس، بعت طست أمي بسبعة دنانير.

قال يحيى بن معين: فلما خرجنا إلى صنعاء نفدت نفقة الإمام أحمد بن حنبل، فعرض علينا عبد الرزاق دراهم كثيرة فلم يقبلها أحمد، فقال له عبد الرزاق اقبلها على وجه القرض فأبى. فعرضنا عليه نفقاتنا فلم يقبلها، فاطلعنا عليه فإذا به يعمل التكك ويفطر على ثمنها.

قال ابن جرير الطبري: أبطأت عني نفقة والدي فاضطررت إلى أن فتقت كمَّي قميصي فبعتهما. [تذكرة الحفاظ].

١٤- ومن أدب الطلب: التخلقُ بالأخلاقِ الحسنةِ في الباطنِ والسمتِ الحسنِ في الظاهرِ، ويتحققُ هذا بالتمسكِ بالسُّنَن:

قال سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**»[٢٨].

قال الزهري: إن هذا العلم أدب الله به نبيهﷺ، وأدب به النبي ﷺ أمته، أمانة إلى رسوله ليؤديه على ما أُودي إليه، فمن سمع علمًا فيجعله إمامة وحجة فيما بينه وبين الله تعالى.

قال الآجري في [أخلاق حملة القرآن (ص٢٥)]: وينبغي على طالب العلم أن يجعل القرآن والسنة والفقه دليله إلى كل خلق حسن جميل حافظًا لجميع جوارحه عمَّا نهي عنه.

---

(٢٨) [إسناده حسن]: رواه أحمد (٢/ ٣٨١)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بهذا اللفظ. وله شاهد عند ابن أبي شيبة (١١/ ٥٠٠) من حديث زيد بن أسلم مرسلًا.

وقد ورد الحديث بلفظ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ**» عند البزار (١٩٧٣)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٢٠)، من حديث معاذ بن جبل مرفوعًا، ولكن فيه شهر بن حوشب وهو ضعيف، وعلة أخرى وهي عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو لا يتابع على حديثه، وورد بلفظ ثالث وهو «**بُعِثْتُ بِتَمَامِ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَكَمَالِ مَحَاسِنِ الأَفْعَالِ**». عند الطبراني في الأوسط (٦٨٩٥) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعًا وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر وهو ضعيف، وعله أخري وهو عمر بن إبراهيم القرشي، متهم بالكذب، وقد ضعف الحديث بهذا اللفظ الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٩١).

فالحديث حسن بلفظ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**»، والله أعلم.

قال مالك: حق على طالب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية.

قال إسماعيل بن إبراهيم: كان يجتمع في مجلس الإمام أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون نحو خمسمائة يكتبون والباقون يتعلمون حسن الأدب والسمت.

قال ابن النحاس الرملي لما سُئل عن الإمام أحمد فقال: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه. عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها. [سير أعلام النبلاء].

قال ابن المبارك:

أَيُّهَا الطَّالِبُ عِلْماً ائْتِ حَمَّادَ بْنَ زَيْدِ

فَاسْتَفِدْ حِلْماً وَعِلْماً ثُمَّ قَيِّدْهُ بِقَيْدِ

قال سهل بن عبد الله التستري: حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل.

قال إبراهيم النخعي: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته، وإلى صلاته، وإلى حاله، ثم يأخذون عنه.

١٥- ومن أدبِ الطَّلب: اتصافُه بالحياءِ:

فالحياء ماء الوجه الرقيق، رداء الحسن وجلباب الدين، قال سبحانه وهو يرفع التهمة عن نبيه موسى - عليه السلام - التي اتهمته بها بنو إسرائيل وذلك لشدة حيائه، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب: ٦٩].

قال القرطبي في [تفسيره ١٤/ ٢٥٠] قال رسول الله ﷺ: «كَانَ مُوسَى

عليه السلام رَجُلًا حَيِيًّا، وَكَانَتْ بَنُو إِسْرائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عَرايًا، وَكانَ مُوسَى عليه السلام يَمْتَنِعُ عَنْ ذَلِكَ، فاتَّهَمُوا لِشِدَّةِ حَيَائِهِ أَنَّهُ آدرُ «أي عيب في خِصيته»، فَأَرادَ اللَّهُ تَبرئَتَهُ ليُبيِّنَ لهُمْ أَنَّهُ مَا مَنَعَهُ عَنْ أَنْ يَفعَلَ مِثْلَ صَنِيعِهِمْ إِلَّا حَياؤُهُ، فَذَهبَ يَوْمًا ليَغْتَسِلَ فِي الْبَحْرِ، فَوَضَعَ ثوبَهُ عَلَى الْحَجَرِ، فَأَخَذَ الْحَجَرُ ثَوْبَهُ وَجَرَى، فَذَهبَ وَراءَهُ مُوسَى وَهُوَ يَقُولُ: يَا حَجَرُ ثَوْبِي يَا حَجَرُ ثَوْبِي... حَتَّى رَآهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَعَلِمُوا أَنَّ لَيْسَ بِهِ آدَرُ...». فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيهًا[٢٩]. فالحياء يرفع طالب العلم إلى كمال الطاعة ويصرفه عن الرذائل ومواضع الشبهات.

وقال ﷺ: «**الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنْ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ**»[٣٠].

وعن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها[٣١].

❁ ❁ ❁

---

(٢٩) [حديث صحيح]: رواه أحمد (٢/ ٣٢٤)، والبخاري (٣/ ١٦٤)، ومسلم (٧/ ٩٩).

(٣٠) [صحيح بمجموع طرقه]: فقد رواه أحمد (٢/ ٥٠١)، والترمذي (٢٠٠٩)، وقال حسن صحيح من حديث أبي هريرة مرفوعًا وفيه محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي صدوق له أوهام. ولكن يقويه الشاهد الذي رواه البخاري في الأدب المفرد (١٣١٤)، وابن ماجه (٤١٨٣) من حديث الحسن البصري عن أبي بكرة مرفوعًا.
وقد قال الدارقطني في التتبع (٨٨- ٩١)، بعدم سماع الحسن من أبي بكرة. ولكن لا يسلم له ذلك فإن الحسن البصري قد سمع من أبي بكرة عند البخاري (١٠٤٨) بل في أكثر من موضع أثبت السماع ثم إن له شاهدًا عند البخاري (١/ ٩) ومسلم (٣٦) من حديث ابن عمر مرفوعًا بلفظ: «**وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**». والله أعلم.

(٣١) رواه البخاري (٣٥٦٢)، ومسلم (٦١١٩).

١٦- ومن أدب الطلب: التَّحلي بالحِلْم:

فقد أثنى الله على نبيه إبراهيم - عليه السلام - فقال عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥﴾ [هود:٧٥]. والحلم صفة من صفات الله عز وجل، وهو يحب من يتصف بصفة من صفاته.

فالطالب الحليم هو الذي قد وسع الله صدره، فهو يتحمل كل الصعاب من شيخه وإخوانه وعامة الناس، من أجل رضى الله عز وجل. بل ولا يتعجل برد الإساءة إلى من أساء إليه من إخوانه. وفي الحديث عند البخاري ومسلم، قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: الْحِلْمُ والأَنَاةُ**»(٣٢).

قال عطاء بن يسار: ما أوى شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم.

وقال إبراهيم بن أدهم: ما من شيء أشد على الشيطان من عالم حليم إذا تكلم تكلم بعلم، وإذا سكت سكت بحلم، يقول الشيطان: انظروا إليه كلامه أشد عليَّ من سكوته.

قال النووي في [المجموع (١/ ٣٧)]: من لم يصبر على ذل التعلم بقي عمره في عماية الجهل، ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الآخرة والدنيا. ومنه الأثر المشهور عن ابن عباس قال: ذللت طالبًا فعززت مطلوبًا.

---

(٣٢) [إسناده صحيح]: رواه أحمد (٣/ ٢٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٨٥)، ومسلم (١/ ٣٦)، من حديث أبي سعيد الخدري، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٥٨٦)، وابن ماجه (٤١٨٨)، والترمذي (٢٠١١)، من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -.

١٧- ومن أدب الطلب: التَّحلي بالورعِ:

قال الآجري في [أخلاق حملة القرآن (ص٢٥)]: وينبغي لطالب العلم أن يستعمل الورع في مطعمه ومشربه ومكسبه، بصيرًا بزمانه وفساد أهله فهو يحذرهم على دينه، مقبلًا على شأنه، مهمومًا بإصلاح ما فسد من أمره. فهو يقنع بالقليل فيكفيه، ويحذر على نفسه من الدنيا ما يطغيه. أ هـ.

ويشهد لهذا قوله ﷺ: **«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»**(٣٣).

وفي الأثر المشهور أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قُدم إليه طعام فأكله، ثم قيل له: إن فيه شيئًا من مال حرام، فاستقاءه رضي الله عنه. ذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» عند حديث: **«إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ»**.

وفي الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ كان ينقلب من الليل فيجد التمرة على فراشه فيريد أن يأكلها، فيتذكر تمر الصدقة فيدعها(٣٤). [وهذا كله من باب الورع].

قال الحسن بن عرفة: قال لي ابن المبارك: استعرت قلمًا بأرض الشام، فذهب عليَّ أن أرده إلى صاحبه، فلما قدمت مرو نظرت فإذا

---

(٣٣) [إسناده صحيح]: رواه أبو داود الطيالسي (١١٧٨)، وأحمد (١/ ٢٠٠)، والترمذي (٢٥١٨)، والحاكم (٢/ ١٣)، والبيهقي (٥/ ٣٣٥)، وصححه الحاكم والذهبي بلفظ: **«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ»**.
وقد روى الجزء الأول منه فقط الدارمي (٢٥٣٢)، والنسائي (٨/ ٣٢٧)، والبغوي (٢٠٣٢)، وروى الجزء الأخير منه القضاعي في مسنده الشهاب من طريق شعبة به (٢٧٥)، ومعناه: دع ما تشكُ فيه إلى ما لا تشك. والله أعلم.

(٣٤) [إسناده صحيح]: رواه أحمد (٢/ ٣١٧)، والبخاري (٣/ ١٦٤)، ومسلم (١٠٧٠)، والبيهقي (٥/ ٣٣٥)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٨٧)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ١٠٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢/ ١٠).

هو معي، فرجعت يا أبا علي «الحسن بن عرفة» إلى أرض الشام حتى رددته على صاحبه. [تاريخ دمشق (٣٨/ ٢٤٠)].

١٨- ومن أدب الطلب: جَمعُ القلبِ على العلمِ:

قال سبحانه: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤].

قال القرطبي في [تفسيره (١٤/ ١١٧)]: والمعنى في الآية: أنه لا يجتمع في القلب الكفر والإيمان، والهدى والضلال، والإنابة والإصرار، وهذا نفي لكل ما توهمه أحد في ذلك من حقيقة أو مجاز والله أعلم.

وكما قيل: حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل.

قال ابن حجر في« الفتح» (١/ ٢٧٠): والتقلل من الدنيا أمكن لحفظ العلم.

وفي [مختصر منهاج القاصدين (٢٠)] قال: وينبغي للمتعلم قطع العلائق الشاغلة، فإن الفكرة متى توزعت قصرت عن إدراك الحقائق، وقد كان السلف يؤثرون العلم عن كل شيء.

فروي عن الإمام أحمد أنه ما تزوج إلا بعد الأربعين، وأُهديت إلى أبي بكر بن الأنباري جارية، فلما دخلت عليه تفكر في استخراج مسألة، فغربت عنه. فقال: أخرجوها إلى النخاس «سوق العبيد»، فقالت: هل من ذنب؟ قال: لا إلا أن قلبي اشتغل بك، وما قدر مثلك أن يمنعني علمي. أ هـ.

قلت: ولكن من كان له زوجة وأولاد ولا أحد يكفلهم غيره فليعمل أيامًا ويتعلم أيامًا وليجعل في أيام عمله من ينوب عنه في تحمل العلم.

وقد ثبت هذا في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك.

قال ابن حجر في [الفتح (١/ ٢٢٤)]: وفيه أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه ليستعين على طلب العلم وغيره. مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته لما علم من حال عُمَرَ أنه كان يتعانى التجارة إذ ذاك. أ هـ.

١٩- ومن أدب الطلب: كتابةُ العلمِ وحفظُه من الضياعِ والنسيانِ:

قال سبحانه: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [ن: ١، ٢] أي والذي يكتبون. وقال سبحانه: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

وعند البخاري (١١٨) عن أبي هريرة قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثًا مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كتب ولم أكتب.

وعن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أُريد حفظه فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله، وهو يتكلم في الرضا والغضب؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه وقال: «**اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ**»(٣٥).

(٣٥) [إسناده صحيح]: رواه أحمد (٢/ ١٦٢)، وابن أبي شيبة (٩/ ٤٩)، وأبو داود (٣٦٤٦)، من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا. ورواته كلهم ثقات.

وعن أنس موقوفًا: قيدوا العلم بالكتابة(٣٦).

وعند الدارمي بسند حسن عن معاوية بن قرة قال: من لم يكتب العلم

= ورواه الحاكم (١/ ١٠٤)، وغيره من طريق عبد الواحد بن قيس عن عبد الله بن عمرو أيضًا ولكن عبد الواحد قال فيه ابن حبان: يتفرد بالمناكير عن المشاهير، وقال فيه ابن حجر: صدوق له أوهام ومراسيل.

ورواه الحاكم كذلك (١/ ١٠٥) من طريق مجاهد وشعيب عن عبد الله بن عمرو، ولكن في الطريق إليه عقيل بن خالد: لا يُعرف، فالحديث صحيح من الطريق الأول والله أعلم.

(٣٦) [صح موقوفًا]: رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٢٢٨) والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٥٣)، من حديث الزهري عن أنس بن مالك مرفوعًا وفيه إسماعيل بن أبي أويس، قال فيه أبو حاتم: محله الصدق وكان مغفلًا، وقال فيه ابن حجر: صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه. بل قد ضعفه النسائي، وقال ابن الجنيد عن يحيى بن معين قال: إسماعيل يكذب ليس بشيء، وقال ابن أبي خيثمة: صدوق ضعيف، وقال الدارقطني: لا أختاره في الصحيح، وقال نصر المروزي: إسماعيل كذاب، وقد أخرج له الشيخان ما صح من حديثه. والله أعلم.

وقد ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه (١/ ٤٦) من حديث أنس كذلك مرفوعًا، ولكن في الطريق إليه عبد الحميد بن سليمان أخو فليح، وهو ضعيف، وكذلك عبد الله بن المثنى وهو صدوق كثير الغلط.

ورواه ابن عدي في الكامل عن ابن عباس مرفوعًا (٣/ ٢٧٦) وفيه حفص بن عمر بن أبي العطاف، قال عنه البخاري منكر الحديث.

ورواه الحاكم عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا (١/ ١٠٦)، وفيه عبد الله بن المؤمَّل وهو ضعيف، وفيه ابن جريج وهو ثقة يدلس وقد عنعن.

وقد روي هذا الحديث من طرق عن أنس موقوفًا عليه من قوله، وفيها مقال عند الدارمي (١/ ١٣٧)، والطبراني في الكبير (١/ ٧٠٠)، والحاكم (١/ ١٠٦). ورواه الحاكم (١/ ١٠٦) عن عمر بن الخطاب من قوله، وفيه عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان وهو مجهول.

وقد رجح الدارقطني والحاكم وابن الجوزي في العلل (١/ ٨٦) طريق الوقف.

وقال الحاكم (١/ ١٠٦)، والرواية عن أنس صحيحة من قوله وقد أسند من وجه غير معتمد.

وذهب العلامة الألباني إلى تحسين الحديث مرفوعًا بمجموع الطرق خاصة من طريق الزهري عن أنس مرفوعًا «الصحيحة» (٢٠٢٦).

ولكن قد علمت ما في الطريق المرفوع من حال إسماعيل بن أبي أويس فلا يصح الحديث مرفوعًا. بل إن رواية الوقف أولى بالقبول مع ما فيها من كلام في عبد الله بن المثنى، أفاده شيخنا العدوي. والله أعلم.

فلا تعدوه عالمًا.

قال إسحاق الكوسج لأحمد بن حنبل: لو لم يكتب العلم لذهب، قال: نعم، ولولا كتابة العلم أي شيء كنا نحن.

قال علي بن المديني شيخ البخاري: أمرني سيدي أحمد بن حنبل أن لا أُحدث إلا من كتابٍ. «سير أعلام النبلاء».

العِلْمُ صَيْدٌ وَالكِتَابَةُ قَيْدُهُ ... قَيِّدْ صُيُودَكَ بِالحِبَالِ الوَاثِقَهْ
فَمِنَ الحَمَاقَةِ أَنْ تَصِيدَ غَزَالَةً ... وَتَتْرُكُهَا بَيْنَ الخَلَائِقِ طَالِقَهْ

فإذا كتب الطالب علمًا أو كان العلم في كتاب فطُلب منه، فعليه أن يُعيره لأن إعارة العلم من بركته.

قال النووي في [المجموع (١/ ٣٥)]: ويستحب لطالب العلم إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه في ذلك؛ لأنه إعانة على العلم مع ما في مطلق العارية من الفضل، وروينا عن وكيع قال: أول بركة الحديث إعارة الكتب.

وعن سفيان الثوري قال: من بخل بالعلم ابتلي بإحدى ثلاث: أن ينساه، أو يموت ولا ينتفع به، أو تذهب كتبه.

٢٠- ومن أدب الطلب: حفظُ اللسانِ:

سواء أمام شيخه أو في مجلسه، أو مع إخوانه من الطلبة، أو مع العامة في المجتمع.

يقول الإمام الآجري: إذا تكلم تكلم بعلم إذا رأى الكلام صوابًا، وإن سكت سكت بعلم إذا كان السكوت صوابًا، قليل الخوض فيما لا يعنيه،

يخاف من لسانه أشد مما يخاف من عدوه، يحبس لسانه كحبسه لعدوه؛ ليأمن من شره وسوء عاقبته.

قلت: وهذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٨].

وفي حديث معاذ بن جبل قال: يا رسول الله وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**»[٣٧].

---

(٣٧) [صحيح بمجموع طرقه]: رواه أحمد (٥/ ٢٣١)، وعبد بن حميد (١١٢)، والترمذي (٢٦١٦)، وقال حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١٣٩٤)، من طرق عن معاذ ابن جبل مرفوعًا، ولكن فيها علتين:

الأولى: عدم سماع أبي وائل «شقيق بن سلمة» من معاذ بن جبل.

والثانية: فيه عاصم بن أبي النجود، وقد تكلم العلماء في حفظه، وقال عنه ابن حجر صدوق له أوهام.

ورواه البزار (١/ ٢٣ - كشف)، وابن حبان (١/ ٢٥٥)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٦٦)، من طريق مكحول عن معاذ بن جبل مرفوعًا، ومكحول لم يسمع من معاذ، فالحديث منقطع.

ورواه هناد في الزهد (١٠٩٠)، والحاكم (٢/ ٤١٢- ٤١٣)، وصححه وأقره الذهبي من حديث ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل مرفوعًا، ولكن ميمون لم يسمع من أحد من الصحابة. قاله ابن المديني والبخاري وغيرهما.

ورواه أحمد (٥/ ٢٣٧)، وابن أبي شيبة (٩/ ٦٥)، من حديث عروة بن النزال، عن معاذ وعروة لم يسمع من معاذ، ورواه أحمد (٥/ ٢٣٦)، من حديث شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم، عن معاذ، وشهر ضعيف وعبد الرحمن لم يسمع من معاذ.

والحديث له شاهد عن أبي هريرة مرفوعًا، رواه هناد في الزهد (١٠٩٤)، ولكن فيه أبو معشر المدني وهو ضعيف اختلط.

قال الدارقطني في العلل (٦/ ٧٨) وقول حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل مرفوعًا أشبه بالصواب؛ لأن الحديث معروف من رواية شهر بن حوشب على اختلاف عنه فيه.

قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم رقم [٢٩]، رواية شهر عن معاذ مرسلة يقينًا، وشهر مختلف في توثيقه وتضعيفه، وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضعيفة. اهـ. =

وقال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، فَيَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»**(٣٨).

قال الآجري: ولا يغتاب أحدًا، ولا يحقر أحدًا، ولا يشمت بمصيبة، ولا يبغي على أحد ولا يحسده.

ولا يسيء الظن بأحد إلا بمن يستحق، يحسد بعلم ويظن بعلم، ويتكلم بعلم، ويسكت عن حقيقة ما في أخيه بعلم، فإن إحسان الظن بالمعلم والصاحب واجبٌ.

قلت: وهذا كما قال ربنا: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۝٢٨﴾ [النجم: ٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: **«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»**(٣٩).

وفي الحديث: **«كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَوْ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»**(٤٠).

= ولكن الحديث يصحح بمجموع طرقه كما في رواية أحمد (٥/ ٢٣٦)، و(٥/ ٢٣٧). وقد صحح الحديث العلامة الألباني بمجموع طرقه في «الصحيحة» رقم (١١٢٢).

(٣٨) [صحيح بمجموع طرقه]: رواه أحمد (٢/ ٢٩٧)، والترمذي (٢٣١٤)، وقال حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجه (٣٩٧٠)، والحاكم (٤/ ٥٩٧)، وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وصححه الذهبي من طرق عن أبي هريرة مرفوعًا. ورواه ابن حبان (٥٦٧٨)، بلفظ: **«يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»** [وإسناده حسن].
ورواه ابن حبان (٥٦٨٦) بلفظ **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بِهَا مِنْ أَبْعَدِ مِنَ الثُّرَيَّا»** من حديث أبي هريرة كذلك، ولكن فيه الزبير بن سعيد، وقد ضعفه الجمهور.
ولكن الحديث يُصحح بمجموع طرقه. والله أعلم.

(٣٩) [إسناده صحيح]: رواه أحمد (٢/ ٣٤٢)، والبخاري (٨/ ١٨٥)، والأدب المفرد (٤١٠)، مالك (٥٦٦)، والحميدي في مسنده (١٠٨٦)، ومسلم (٩/ ١٠)، وأبو داود (٤٩١٧)، والترمذي (١٩٤٨).

(٤٠) [حديث مرسل]: رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ٨)، وأبو داود في السنة (٤٩٩٢)، وقال: لم يسنده إلا هذا الشيخ [يعني علي بن حفص المدائني] من حديث أبي هريرة. وقد =

قال الآجري: يحذر من نفسه أن تغلبه على ما تهوى مما يُسخط مولاه [أخلاق حملة القرآن (ص٢٥)]. اهـ.

٢١- ومن أدب الطلب: الرجوعُ إلى الحق عندَ تبيُّنهِ:

قال أبو بكر: «يا رسول الله إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت؛ فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ . . . ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا . . .» رواه البخاري (٣٦٦١).

قال الشوكاني في [الأدب (ص٦٧)]: ومن آفات التعصب الممحقة لبركة العلم: أن يكون طالب العلم قد قال بقول في مسألة، كما يصدر ممن يفتي، أو يصنف، أو يناظر غيره، ويشتهر ذلك القول عنه، فإنه قد يصعب عليه الرجوع عنه إلى ما يخالفه، وإن علم أنه الحق وتبين له فساد ما قاله، ولا سبب لهذا الاستصعاب إلا تأثير الدنيا على الدين، فإنه قد يُسَوِّل له الشيطان أو النفس الأمارة أن ذلك ينقصه ويحط من رتبته ويخدش في تحقيقه، ويغض من رئاسته. وهذا تخيل مختل. وتسويل باطل، فإن الرجوع إلى الحق يوجب له من الجلالة والنبالة وحسن الثناء مالا

= وافق أبا داود على ترجيح الإرسال الإمام الدارقطني - رحمه الله - في «التتبع والإلزامات» (٩)، ورواه كذلك الحاكم (١/ ١١٢)، وأبو نعيم في مستخرجه (١/ ٤٦)، وبالنسبة للإمام مسلم فقد أورده في مقدمته، والمقدمة ليست على شرط الصحيح كما هو معلوم عند أهل الحديث. وهذا الحديث قد رواه جماعة على الإرسال، وهم حفاظ ثقات منهم [عبد الرحمن ابن مهدي، وغندر، وحفص بن عمر، ومعاذ بن معاذ العنبري، وسليمان بن حرب، وآدم بن أبي إياس]. بينما تفرد بوصله عن رسول الله ﷺ علي بن حفص بمفرده، وهو ليس بثقة، بل صدوق، فإسناده شاذ لمخالفته لرواية الثقات. والله أعلم.

يكون في تصميمه على الباطل.

قال الشافعي: كل قول خالفت فيه حديث رسول الله فأنا راجع عنه في حياتي وبعد مماتي. «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» (ص١٥).

٢٢- ومن أدب الطلب: قلةُ الضَّحكِ:

ولكن يكفيه التبسم، لذا وصف سبحانه نبيه سليمان - عليه السلام -، لما أُعجب من قول النملة بالتبسم فقال: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [النمل:١٩]. وهو أكثر حال رسول الله ﷺ، كما وصفه أصحابه، فعن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسمًا[٤١].

وعن جرير بن عبد الله البجلي قال: ما حجبني رسول الله ﷺ ولا رآني منذ أسلمت إلا تبسم. [رواه البخاري (٣٥)].

قال الآجُري في [أخلاق حملة القرآن (ص٢٥)]: وينبغي على الطالب أن يكون قليل الضحك فيما يضحك منه الناس، لسوء عاقبة الضحك إن سُر بشيء مما يوافق الحق تبسم، وإن مزح قال حقًّا، باسط الوجه، طيب الكلام.

---

(٤١) [صحيح بمجموع طرقه]: رواه الترمذي (٣٦٤٢) من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء، وقال الترمذي حديث صحيح غريب لا نعرفه من حديث ليث بن سعد إلا من هذا الوجه.
ورواه أحمد (٤/ ١٩٠)، وابن المبارك في الزهد (١٣٤)، والترمذي (٣٦٤١)، وقال حسن غريب، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (١٨٤)، من حديث عبد الله بن جزء أيضًا، ولكن في الطريق إليه ابن لهيعة، وهو ضعيف سيء الحفظ.
والحديث له شاهد عند مسلم (٨٩٩)، وأحمد (٦/ ٦٦)، وأبو داود (٥٠٩٨)، من حديث عائشة - رضي الله عنها - بلفظ: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم. فالحديث بطرقه يصير صحيحًا والله أعلم.

٢٣- ومن أدبِ الطَّالبِ: أن لا يمدحَ نفسَهُ بما فيه:

قلت: فكيف بما ليس فيه: فهذا هو الكذب الذي حرمه الله ورسوله ﷺ، فقد قال سبحانه: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وكما قال سبحانه: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَخَلَّقَ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»[٤٢].

وكان الغالب على رسول الله ﷺ، أنه كان إذا أراد أن يمدح نفسه عرض بذكر الأنبياء السابقين، وقال عن نفسه في ذكر قصة يوسف: «**لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ثُمَّ أَتَانِي الدَّاعِي لَأَجَبْتُهُ**»، وقال: «**نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ**»[٤٣].

وقال: «**يَرْحَمُ اللَّهُ أَخِي مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**». رغم أن المتفق عليه أنه ﷺ أكثر الأنبياء تحملًا، بل إنه لم يدع على قومه، وآخر دعوته شفاعته لأمته يوم القيامة.

يقول عمر رضي الله عنه: ما سلكت طريقًا إلى الخير، إلا ووجدت أبا بكر قد سبقني إليه.

---

(٤٢) [صحيح]: رواه أحمد (٦/ ١٦٧)، ومسلم (٦/ ١٦٨) وغيرهما من حديث عائشة مرفوعًا وورد كذلك من حديث أسماء بنت أبي بكر مرفوعًا.

(٤٣) [صحيح]: رواه أحمد (٢/ ٣٣٢)، (٢/ ٣٢٦)، والبخاري (٤٤١٧)، والأدب المفرد (٦٠٥)، ومسلم (١/ ٩٢)، والترمذي (٣١١٦)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٤)، وابن ماجه (٤٠٢٦)، والحاكم (٢/ ٣٤٦).

قال محمد بن الوزير: كنت مع عبد الله بن المبارك في سفر، فنزلنا منزلًا مخيفًا، فقام فتوضأ فصلى حتى طلع الفجر، وأنا قد اضطجعت. فلما أذَّن الفجر قال لي: قم فتوضأ.

قلت: إني على وضوء فركبه الحزن حيث علمت أنا بقيامه، فلم يكلمني حتى انتصف النهار وبلغت المنزل معه. [تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤٠)].

٢٤- ومن أدب الطلب: عِفَّةُ النَّفْسِ:

فطالب العلم لا يأكل بعلمه، ولا يحب أن تقضى له الحوائج من أجل علمه، ولا يسعى إلى أبناء الملوك، ولا يجالس بعلمه الأغنياء ليكرموه، فقد ذمَّ الله السابقين بذلك، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

وقد امتنع كثير من السلف عن قبول هدايا السلطان، ولا الذهاب إليهم عندما يحتاجون إلى علمهم، بل السلاطين كانوا يأتونهم، وهذا حال مالك رحمه الله، والإمام أحمد، وسفيان الثوري وغيرهم، حتى لا يبيعون دينهم للسلطان بعرض من الدنيا.

يقول الشوكاني رحمه الله في [الأدب (ص١١٨)]: فإن قلت: وما هذه الأهلية التي يكون صاحبها محلًّا لوضع العلم فيه وتعليمه إياه؟

قلت: هي شرف المحتد وكرم النِّجار، وظهور الحسب، أو كان في سلف الطالب من له تعلق بالعلم والصلاح ومعالم الدين، أو بمعالي الأمور ورفيع الرتب، وقد أشار إلى هذا النبي ﷺ في الحديث الثابت عنه في

الصحيح فقال: «**النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا**»[٤٤].

وأما من كان سقط المتاع، وسَفْساف أهل المهن، كأهل الحياكة والعصارة والقضابة ونحو ذلك من المهن الدنية، والحرف الوضيعة، فإن نفسه لا تفارق الدناءة، ولا تجانب السقوط، ولا تأبى المهانة، ولا تنفر عن الضيم... ولا يخرج من هؤلاء إلا النادر القليل، ولا يكون ذلك إلا لعرق ينزعه إلى الشرف، ويجذبه إلى الخير في سلفه القديم، وإن جهله من لم يعرفه. اهـ.

قال عليُّ بن الفضيل: سمعت أبي «الفضيل بن عياض» يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع من خراسان إلى البلد الحرام كيف ذا؟

فقال ابن المبارك: يا أبا عليٍّ إنما أفعل ذلك لأصون به وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقًّا إلا سارعت إليه حتى أقوم به.

فقال له الفضيل: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إذا تم ذا. [تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٠)].

❖ ❖ ❖

---

(٤٤) [صحيح]: رواه أحمد (٢/ ٥٣٩)، والحميدي (١٠٤٦)، ومسلم (٨/ ٤١)، وأبو داود (٤٨٣٤)، من حديث أبي هريرة مرفوعًا، ورواه أحمد (٣/ ٣٦٧)، من حديث جابر بن عبد الله مرفوعًا.

٢٥- ومن أدب الطلب: أن يكونَ الطَّالبُ نظيفَ البدنِ والثوبِ:

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»**، قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا، فقَالَ رسول اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»**.(٤٥).

قال النووي في [شرح صحيح مسلم]: وقد كان رسول الله ﷺ يحب الطيب ويحرص عليه، فعن موسى بن أنس بن مالك، عن أبيه قال: كان لرسول الله ﷺ سُكة(٤٦) يتطيب بها(٤٧).

وعن أنس قال: وقت لنا رسول الله ﷺ فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.(٤٨).

---

(٤٥) [إسناده صحيح]: رواه البخاري معلقًا في كتاب العلم (١/ ١٦٥)، مسلم (٩١)، والدارمي (٢٥٠) بسند صححه ابن حجر في «الفتح» (١/ ١٦٦).

(٤٦) السُّكة: بضم السين نوع من الطيب [المصباح المنير]، وهو طيب أسود يخلط ويترك، وتظهر رائحته كلما مضى عليه الزمن، وقيل هو وعاء، فيه طيب لقوله: يتطيب بها، ولم يقل: يتطيب منها، والله أعلم.

(٤٧) [صحيح بمجموع بطرقه]: رواه أبو داود (٤١٦٢)، والترمذي في الشمائل (٢١٧) بإسناد حسن من حديث أنس بن مالك، ورواه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ من طريق آخر بسند حسن أيضًا رقم (٢٣٥).

وهناك رواية أخرى عند أبي الشيخ (٢٣٤)، ضعيفة فيها طاهر بن أبي أحمد الزبيري، وهو مجهول، وكذلك فيها أبو حريش، ليست له ترجمة، ولكن الحديث [صحيح بطرقه] والله أعلم.

(٤٨) رواه مسلم (٢٨٥).

وقال رسول الله ﷺ: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ**»[٤٩].

قال مالك: ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا ويرى أثر نعمته عليه وخاصة أهل العلم.

وقال مطرف: كان مالك إذا عقد مجلس الحديث قام فاغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جددًا ... ويخرج وعليه الخشوع ويضع عودًا فلا يزال يبخر حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ. «ترتيب المدارك للقاضي عياض» (١/ ٥١).

قال ابن جماعة في [تذكرة السامع والمتكلم]: على طالب العلم أن يطهر قلبه من كل غش ودنس وغل وحسد، وسوء عقيدة وخلق، ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه، والاطلاع على دقائق معانيه، وحقائق غوامضه، فإن العلم كما قال بعضهم صلاة السر وعبادة القلب وقربة الباطن.

٢٦- ومن أدب الطلب: عُلُوُّ هِمَّته، وترك الكسلِ:

فقد قال سبحانه: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣].

فلا يرضى طالب العلم باليسير مع إمكان الكثير، ولا تؤخر واجبات يومك إلى غدك، ولا تضيع وقتك فيما لا فائدة فيه.

وقد بين الله عز وجل علو همَّة رسوله ﷺ فقال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم

(٤٩) رواه مسلم (٢٥٢).

بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ، شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»(٥٠).

قال أبو هريرة: كنت ألزم النبي ﷺ لشبع بطني حين لا آكل الخمير، ولا ألبس الحرير، ولا يخدمني فلان وفلانة، وألصق بطني بالحصباء، واستقرئ الرجل الآية، وهي معي، كي ينقلب بي فيطعمني(٥١).

وأخرج ابن أبي خيثمة في كتاب [العلم (ص١٢)]: بسنده عن جرير بن حيان أن رجلًا رحل إلى مصر في هذا الحديث، فلم يحل رحله حتى رجع إلى بيته، والحديث هو قوله ﷺ: «**مَنْ سَتَرَ عَلَى أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا، سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ**»(٥٢) والرجل الذي رحل هو عقبة بن عامر، قد ركب إلى مسلمة بن مخلد، وهو أمير على مصر.

وقد أورد الحديث الحاكم في [معرفة علوم الحديث (ص٩)]، وقال: إن الصحابي هو أبو أيوب الأنصاري.

---

(٥٠) [إسناده ضعيف]: رواه الحاكم (٤/ ٣٠٦)، من حديث ابن عباس مرفوعًا، ولكن فيه الحسن ابن حليم المروزي [مجهول].
والحديث له شاهد عند ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢٣)، وعبد الرزاق (٤/ ٤٤٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤٨)، من حديث عمرو بن ميمون مرسلًا وهو الأصح، والله أعلم.
ولكن الحديث لبعض فقراته شواهد كما في حديث «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا**»، رواه الترمذي وضعفه (٢٣٠٦)، وضعفه العلامة الألباني في الضعيفة (١٦٦٦).

(٥١) [صحيح]: رواه الحميدي (١١٤٢)، أحمد (٢/ ٢٤٠)، والبخاري (١/ ٤٠)، ومسلم (٧/ ١٦٦)، وابن ماجه (٢٦٢)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ١٣٩٥٧) تحفة.

(٥٢) [إسناده ضعيف]: رواه أحمد في المسند (٤/ ١٠٤)، والطبراني في «الأوسط» (٨١٢٩)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/ ٨٤) من حديث مسلمة بن مخلد، وفيه انقطاع لعدم سماع مكحول من عقبة ولا من مسلمة. اهـ.

فهذه بعض صور همة صحابة رسول الله ﷺ:

قال ابن المسيب: إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد.

قال الربيع تلميذ الشافعي: لم أر الشافعي آكلًا بنهار، ولا نائمًا بليل، لاهتمامه بالتصنيف.

وفي [تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١٠٣١)] في ترجمة الحافظ ابن منده، أنه سمع من ألف وسبعمائة شيخ قد رحل إليهم، وصنف كتبًا بلغت أربعين حملًا وقد بدأ رحلته، وهو ابن عشرين سنة فرجع من رحلة العلم وهو ابن خمسة وستين، ثم تزوج وهو ابن خمس وستين سنة، ورزق الأولاد.

قال أبو حاتم الرازي في مقدمة [الجرح والتعديل (١/ ٣٥٩)]: أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، لم أزل أحصي حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته، وقد سرت من الكوفة إلى بغداد مرات عديدة، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة، وخرجت من البحرين إلى مصر ماشيًا، ومن مصر إلى الرملة ماشيًا.

قال الفيروزآبادي صاحب [القاموس]: قرأت صحيح مسلم في ثلاثة أيام بدمشق، وأنشد فقال:

قَرَأْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ جَامِعَ مُسْلِمٍ ... بِجَوْفِ دِمَشْقَ الشَّامِ جَوْفَ الإِسْلَامِ

عَلَى نَاصِرِ الدِّينِ الإِمَامِ ابنِ جَهْبَلٍ ... بِحَضْرَةِ حُفَّاظٍ مَشَاهِيرَ أَعْلَامِ

وَتَمَّ بِتَوْفِيقِ الإِلَهِ وَفَضْلِهِ ... قِرَاءَةَ ضَبْطِهِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامِ

أي أنه كان يقرأ على شيخه كل يوم (٧٧٥) صفحة [انظر تذكرة الحفاظ

(٣/ ١١١٩)].

قال السخاوي: قرأ شيخنا الحافظ ابن حجر [معجم الطبراني الصغير] على شيخه في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر، [ومعجم الطبراني] هذا يشمل ألف وخمسمائة حديث [قواعد التحديث من فنون الحديث للقاسمي (ص٢٦٢)].

وفي [غاية الأماني (٢/ ١٦٢)] قال عن شيخ الإسلام ابن تيمية: وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره، فإنه «أي العلم» لم يكن له مستعارًا، بل كان له شعارًا ودثارًا.

٢٧- ومن أدب الطلب: أن يَمشِي الطالبُ برفقٍ ووقارٍ وسَكينةٍ:

فالأدب يلزمه في كل مشيته، قال سبحانه عن لقمان وهو يربي ولده على الأدب: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٢٧، ٢٨].

وقال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**»[٥٣].

وينبغي أن يستعيذ الطالب من شر سمعه وبصره ولسانه ونفسه وشيطانه كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(٥٣) [صحيح]: رواه أحمد (١/ ٢١٠)، الدارمي (١٨٩٨)، ومسلم (١٢٨٢)، والنسائي (٥/ ٢٦٧)، وابن خزيمة (٢٨٤٣)، ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٨٠)، وابن حبان (٣٨٥٥).

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمَنِيِّي»(٥٤).

٢٨- ومن أدب الطلب: أن يتَّصفَ الطالبُ بطولِ السكوت:

خاصة فيما لا يعنيه حتى يشتاق جليسه إلى حديثه، كما قال سبحانه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(٥٥).

قال النووي: فالأصل السكوت، وأن الكلام لا يكون إلا بالخير أو لمصلحة راجحة.

٢٩- ومن أدب الطلب: أن يتمتعَ الطالبُ بخصالِ الرجولةِ:

قال الشيخ بكر في [حلية طالب العلم (ص١٣)]: ومن أدب الطالب أن يتمتع بخصال الرجولة من الشجاعة، وشدة البأس في الحق، ومكارم الأخلاق، والبذل في سبيل المعروف حتى تنقطع دونك آمال الرجال وعليه

(٥٤) [إسناده حسن]:رواه أحمد (٣/ ٤٢٩)، وابن أبي شيبة (١٠/ ١٩٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٦٣)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٢٧٢)، وأبو داود (١٥٥١)، والنسائي (٨/ ٢٦٠)، من حديث شكل بن حميد مرفوعًا.
والحديث رواه كذلك الطبراني في الدعاء (١٣٨٩)، بسند فيه ضعيفان هما ليث بن أبي سليم، والحسن بن أبي جعفر. والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٥٥١).

(٥٥) [صحيح]:رواه البخاري (٤/ ١٦١)، ومسلم (٤/ ١٧٨)، والنسائي (١٠/ ١٣٤٣٤) تحفة.

فاحذر نواقضها من ضعف الجأش، وقلة الصبر، وضعف المكارم، فإنها تهضم العلم وتقطع اللسان عن قوله الحق، وتأخذ بناصيته إلى خصومه في حالة تلفح، يسومها في وجوه الصالحين من عباده. اهـ.

قلت: وفي الحديث كان إذا اشتد الوطيس «البأس في القتال» اتقينا برسول الله ﷺ(٥٦).

قال عبد الله بن سنان: كنت مع ابن المبارك والمعتمر بن سليمان بطرسوس، فصاح الناس النفير النفير، قال: فخرج ابن المبارك والمعتمر وخرج الناس، فلما اصطف المسلمون والعدو، خرج رجل من الروم يطلب المبارزة، فخرج إليه فارس مسلم فشد العِلْجُ على المسلم فقتل المسلم حتى قتل ستة من المسلمين مبارزة، فجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة، لا يخرج إليه أحدًا، قال: فالتفتَ إليَّ ابنُ المبارك، فقال: يا عبد الله إن حدث بي حدثُ الموتِ فافعل كذا، قال: وحرك دابته، وخرج العلج فعالج معه ساعة فقتل العلج، وطلب المبارزة، فخرج إليه علج آخر فقتله، حتى قتل ستةً من العلوج مبارزة، وطلب المبارزة، فكأنهم جُبنوا عنه، فضرب دابته ونظر بين الصفين وغاب فلم أشعر بشيء، إذ أنا بابن المبارك في الموضع الذي كان، فقال لي: يا عبد الله لئن حدَّثتَ بهذا أحد وأنا حي «فذكر كلمة» قال: فما حدثت به أحدًا وهو حي. [تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٥٣)].

❁ ❁ ❁

(٥٦) [إسناده صحيح]: رواه أحمد (١/ ٨٦)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٢٦٠٤)، والنسائي في الكبرى (٧/ ٣٥٧ تحفة)، وأبو يعلى (٣٠٢)، من حديث علي بن أبي طالب.
وله شاهد عند مسلم (١٧٧٦) من حديث البراء **أن النبي** ﷺ واجه العدو يوم حنين ولم يفر، ورواه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٢٦٠٥)، من حديث البراء أيضًا قال: كنا إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع الذي يحاذي به.

٣٠- ومن أدبِ الطَّلب: التَّأملُ والنظرُ:

قال الشيخ بكر - حفظه الله -: فعلى الطالب أن يتحلى بالتأمل، فإن من تأمل أدرك، وقيل: تأمل تدرك، فتأمل عند الكلام بماذا تتكلم، وما هي عائدته، وتحرز في العبارة والأداء دون تعنت أو تذلق، وتأمل عند المذاكرة كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد.

وتأمل عند سؤال السائل كيف تتفهم السؤال على وجهه، حتى لا يحتمل وجهين وهكذا.

قلت: ومصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

٣١- ومن أدب الطلب: تَعاهدُ المحفوظَاتِ:

تعاهد علمك من وقت إلى آخر؛ فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب للعلم مهما كان.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ»**[٥٧].

قال ابن عبد البر في التمهيد [١٤/ ١٣٣- ١٣٤]: وفي هذا الحديث دليل على أن من لم يتعاهد علمه ذهب عنه أيًّا من كان؛ لأن علمهم في ذلك الوقت القرآن لا غير، وإذا كان القرآن الميسر للذكر يذهب إن لم يُتعاهد

---

(٥٧) [صحيح]: رواه مالك في «الموطأ» (١٤٣)، أحمد (٢/ ١٧)، والبخاري (٦/ ٢٣٧)، ومسلم (٢/ ١٩٠)، وابن ماجه (٣٧٨٣)، والنسائي (٢/ ١٥٤)، وفي الكبرى (٩٢٤).

فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة. وخير العلوم ما ضبط أصله واستذكر فرعه، وقاد إلى الله تعالى ودل على ما يرضاه.

وقال بعضهم: كل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل مصيره أ هـ[شرح الإحياء (١/ ٩٣)].

قلت: وعند البخاري، أن جبريل - عليه السلام - كان ينزل يدارس رسول الله ﷺ القرآن كل عام مرة إلا في العام الذي مات فيه فقد عرضه عليه مرتين(٥٨).

٣٢- ومن أدب الطلب: صدقُ اللهجَةِ:

قال ابن تيمية في [الفتاوى (٢٠/ ٧٤)]: عنوان الوقار وشرف النفس ونقاء السريرة وسمو الهمة، ورجحان العقل ورسول المودة مع الخلق وسعادة الجماعة وصيانة الديانة ولهذا كان فرض عين.

ولذا قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا»** [رواه البخاري (٨/ ٣٠)، ومسلم (٨/ ٢٩)].

فَيَا خَيْبَةَ مَنْ فَرَّطَ فِيهِ وَمَنْ فَعَلْ فَقَدْ مَسَّ نفْسَهُ وَعِلْمَهُ بِأَذَى

قال الأوزاعي - رحمه الله -: تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم. اهـ.

وقال الخطيب في [الجامع (١/ ٣٠٤)]: قال وكيع: هذه الصنعة لا

(٥٨) [صحيح]: رواه أحمد (١/ ٢٣٠)، وعبد بن حميد (٦٤٧)، والبخاري (١/ ٤)، الأدب المفرد (٢٩٢)، ومسلم (٧/ ٧٣)، والنسائي (٤/ ١٢٥)، والترمذي في الشمائل (٣٥٣)، وابن خزيمة (١٨٨٩).

يرتفع فيها إلا صادق.

٣٣- ومن أدب الطلب: أنَّه لا يستحِي مِنَ السؤالِ عما أُشكِل عليْه:

بل يستوضحه أكمل استيضاح فمن رق وجهه رق علمه، ومن رق وجهه عند السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال.

ففي «الصحيحين» من حديث أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قال: بَيْنَمَا رسول الله ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»**.

وقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين [رواه البخاري معلقًا في كتاب العلم (١/ ٦٠)].

قال مجاهد: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر.

وقال الخليل بن أحمد: منزلة الجهل بين الحياء والأنفة [آداب المتعلم (ص٥٩)].

قال النووي في [المجموع (١/ ٣٥)]: إذا قال له الشيخ: أفهمت؟ فلا يقل: نعم، حتى يتضح له المقصود إيضاحًا جليًّا لئلا يكذب ويفوته الفهم.

٣٤- ومن أدب الطلب: أن لا تأخذَ العلمَ عن غيرِ أهلِهِ:

ولكن خذه ممن ظهرت ديانته، وتحققت معرفته، واشتهرت صيانته وسيادته، فقد قال ابن سيرين وغيره: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، ولا يكفي في أهلية التعليم أن يكون كثير العلم، بل ينبغي مع كثرة علمه بذلك الفن كونه له معرفة في الجملة بغيره من الفنون الشرعية، فإنها مرتبطة به، ويكون له دربة ودين وخلق جميل، وذهن صحيح، واطلاع تام، ولا تأخذ العلم من شيخ قد أخذ علمه من بطون الكتب من غير قراءة على شيوخ، أو شيخ حاذق، فمن لم يأخذه إلا من الكتب يقع في التصحيف ويكثر من الغلط والتحريف أ هـ.

٣٥- ومن أدب الطلب: اتهامُ النَّفسِ بالتَّقصيرِ:

قال سبحانه: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ [عبس: ٢٢] أي لم يقم بحق الله عليه في نفسه وماله . . . ولم يؤد ما افترضه الله عليه . . . «تسهيل التأويل» لشيخنا مصطفى بن العدوي، جزء عم (ص٤٧).

وقال سبحانه: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥٣].

فهذا أبو بكر الصديق يدخل عليه عمر يومًا وهو يجبذ لسانه فيقول له: مه، غفر الله لك يا أبا بكر. فيرد عليه أبو بكر قائلًا: إن هذا أوردني شر الموارد[٥٩].

(٥٩) أخرجه وكيع في الزهد (٢٨٧) بإسناد صحيح، وهناد في الزهد (١٠٩٢)، وأبو نعيم في =

وهذا عمر بن الخطاب لما طعن كان ولده عبد الله يضع رأسه في حجره، فإذا أفاق قال لابنه: ضعه لا أمَّ لك، ويلي ويل أم عمر إن لم يغفر لي ربي[(٦٠)].

وهذا عمران بن حصين يدخل عليه بعض أصحابه، وكان قد ابتلي في جسده، فيقول له نفر منهم: إنا لنبأس لك لما نرى فيك قال: فلا تبتأس بما ترى، فإن ما ترى بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

وهذا أبو الدرداء يصيبه المرض، ويدخل عليه أصحابه ليعودوه ويقولوا له: أي شيء تشتكي؟ فيقول: ذنوبي فيقولون: أي شيء تشتهي؟ فيقول: الجنة[(٦١)].

وهذه أسماء بنت أبي بكر كانت تصدع فتضع يدها على رأسها وتقول بذنبي وما يغفره الله أكثر.

٣٦- ومن أدب الطلب: تورُّعُ الطالبِ عنِ التَّسرعِ في الفَتْوى:

قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ﴾ [النحل: ١١٦].

قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله -: ومن هذا القبيل «أي طلب

= الحلية من طريق مالك (١/ ٣٣)، وصححه الألباني (٥٣٤- ٥٣٥) في الصحيحة.

(٦٠) سير أعلام النبلاء (٢٨/ ١٤١)، وطبقات ابن سعد (٣/ ٣٥٥).

(٦١) رواه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٠٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٨).

الشرف بالدين» كراهية السلف الجرأة على الفتيا والحرص عليها، والمسارعة إليها، والإكثار منها.

قال علقمة: كانوا يقولون: أجرؤكم على الفتيا أقلكم علمًا.

وقال البراء: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسألُ أحدُهم عن المسألة وما منهم من رجل إلا وَدَّ أن أخاه كفاه. وفي رواية: فيرده هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى يرجع إلى الأول.

وعن ابن مسعود قال: إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون.

وعن عمر بن عبد العزيز قال: أعلم الناس بالفتوى أسكتهم، وأجهلهم بها أنطقهم.

قال الإمام أحمد: ليعلم المفتي أنه يوقع عن الله أمره ونهيه، وأنه موقوف ومسئول عن ذلك.

وكان ابن سيرين إذا سُئل عن الحلال والحرام تغير لونه، وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان يسأل، وكان إبراهيم النخعي يُسأل فتظهر عليه الكراهة، ويقول: ما وجدتَ أحدًا تسأله غيري، وقال: قد تكلمت ولو وجدت بدًّا ما تكلمت. وإن زمانًا أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء. وقال بعض العلماء لبعض المفتين: إذا سئلت عن مسألة فلا يكن همك تخليص السائل ولكن تخليص نفسك أولًا(٦٢).

❊ ❊ ❊

(٦٢) شرح حديث ما ذئبان جائعان لابن رجب الحنبلي [١٤] باختصار ط دار الفتح.

٣٧- ومن أدب الطلب: أن يوازِنَ الطالبُ في تحصيلِ العلومِ الشرعيةِ:

فقد يصل طالب العلم إلى أدق مسائل علم التجويد والقراءات، وهو جاهل بالتوحيد، أو فقه العبادات كما يتعمق بعض الطلاب في علم الحديث حتى يظن أنه في رتبة شعبة وسفيان، وهو بعد لم يحصل القدر الواجب من العلوم الشرعية، فهو جاهل بالتوحيد والفقه والتفسير، فدراسة العلم بهذه الطريقة غير المتكافئة قد توقع الطالب في شيء من العجب والكبر، وتظهر هذه الآفات في كتب المتعالمين الذين يوهمون الأئمة ويزاحمون كبار المحققين بأقوالهم واجتهاداتهم، فيقول الواحد منهم قد وهم فلان وفلان، وفي الغالب هو الواهم، فليس بالأمر الهين توهيم هؤلاء العلماء وتخطئتهم ؛ لأنهم جبال الحفظ والإتقان، ولعل المتعالم اختلط عليه راوٍ باسم راو آخر في نفس الطبقة، أو صحح حديثًا بظاهر السند والحديث معل عند علماء العلل المتقدمين، بل قد نصوا عليه في كتبهم وهو لم ينظر إليه، وعلى كل حال فالواجب على طالب العلم أن يكون متوازنًا في تحصيل العلوم الشرعية، وأن يبدأ بالأهم فالمهم.

٣٨- ومن أدب الطلب: الاستغناء عنِ النَّاسِ وإن كانَ فِيهِ مشقةٌ:

فلا يبذل الطالب وجهه ولا علمه للناس ليأخذ منهم ما يقتات، بل عليه أن يعمل بالقدر الذي يكفيه ويكفي من يعول.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَاسًا مِن الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: **«مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِن الصَّبْرِ»**(٦٣).

وَعن حَكِيم بْنَ حِزَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: **«يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِن الْيَدِ السُّفْلَى»**. قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى الْعَطَاءِ فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ(٦٤).

ولكن: يستثنى من هذا أن الطالب إذا تفرغ للعلم الشرعي، ووجد من يعوله من أهل الصلاح والإسلام فلا بأس بقبول هذا المال، ولكن على الطالب أن يكون حريصًا على أداء تلك الأمانة، واستغلال أوقاته في التحصيل.

❁ ❁ ❁

---

(٦٣) رواه البخاري (٣/ ٣٩٢) الزكاة، ومسلم (١٠٥٣).

(٦٤) رواه البخاري (٣/ ٣٩٣) الزكاة، ومسلم (١٠٤٨).

٣٩- ومن أدب الطلب: أن يعلم الطالب أن كل مجتهد مأجور:

وذلك لأن الله قال: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال رسول الله ﷺ: **«إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»**(٦٥).

فالمجتهد مأجور على كل حال؛ لأنه بذل جهدًا في تحصيل أدوات الاجتهاد، وقصد الحق وبذل جهده في الوصول إليه، فإن وفق إلى الحق فله أجران، وإن لم يوفق فله أجر واحد وهو معذور. أما استدلالهم على أن الحق متعدد بقول النبي ﷺ: **«لا يُصلِّيَنَّ أحَدٌ العَصْرَ إلَّا في بني قُرَيْظَةَ»**. فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فلم يعنف واحدًا منهم(٦٦).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد فيستفاد منه عدم تأثيمه، وحاصل ما وقع في القصة أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته، ولم يبالوا بخروج الوقت ترجيحًا للنهي الثاني على النهي الأول، وهو ترك تأخير الصلاة عن وقتها، والبعض الآخر حملوا النهي على غير الحقيقة، وأنه كناية على الحث والاستعجال

---

(٦٥) رواه البخاري (١٣/ ٣٣٠)، ومسلم (١٢/ ١٣)، وأبو داود (٣٥٥٧) عون.
(٦٦) رواه البخاري (٧/ ٤٧١) المغازي.

والإسراع إلى بني قريظة، وقد استدل الجمهور على عدم تأثيمه من اجتهد لأنه ﷺ لم يعنف أحدًا من الطائفتين فلو كان هناك إثم لعنف من أثم[٦٧].

٤٠- ومن أدب الطلب: أنَّك لا ترحَلْ من بلدِكَ إنْ كانَ فيها عالمًا حتَّى تَحصلَ ما عنْدَه أولًا:

قال أبو الفضل صالح بن أحمد بن محمد التميمي الحافظ: ينبغي لطالب الحديث ومن عُني به أن يبدأ بكتابة حديث بلده، ومعرفة أهله منهم، وتفهمه وضبطه حتى يعلم صحيحها وسقيمها، ويعرف أهل التحديث بها وأحوالهم معرفة تامة إذ كان في بلده علم وعلماء قديمًا وحديثًا. ثم يشتغل بعد بحديث البلدان والرحلة فيه[٦٨].

قال الخطيب: إذا عزم الطالب على الرحلة، فينبغي له أن لا يترك في بلده من الرواة أحدًا إلا ويكتب عنه ما تيسر من الأحاديث، وإن قَلَّتْ[٦٩].

قلت: وهذه نعم النصيحة لأننا وجدنا في كثير من الرواة أنهم يوثقون في حديثهم عن أهل بلدهم، ويضعفون في غيره مثل إسماعيل بن عياش في حديثه عن أهل الشام.

فكيف لو لم يأخذ حديث بلده. لم يكن يقبل هاهنا ولا هناك[٧٠].

بل إن من أوجه الترجيح عند الاختلاف أن الراوي أعلم بحديث بلده.

❖ ❖ ❖

(٦٧) فتح الباري (٣/ ٤٧٣).
(٦٨) الخطيب في جامعه (٢/ ٢٢٤).
(٦٩) نفس المصدر السابق.
(٧٠) انظر تهذيب التهذيب (١/ ٢٠٠) ترجمة إسماعيل بن عياش.

٤١- ومن أدب الطلب: استئذانُ الأبوين في الرحلةِ والتَّعلمِ:

فإن رضا الوالدين أمر مهم لازم في طلب العلم وتحصيله خاصة في العلوم التي هي فروض كفاية. فإن الله عز وجل أوجب برهما والعطف عليهما، وعدم الخروج عن أمرهما.

والجهاد من أركان الإسلام، ومع ذلك فقد أوجب الشارع على من يريد الخروج إليه إن كان الجهاد فرض كفاية، أن يستأذن والديه.

فعنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ رسول الله ﷺ: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**»[٧١].

قال الخطيب البغدادي: الطلب المفروض على كل مسلم إنما هو طلب العلم الذي لا يسع جهله، فتجوز الرحلة بغير إذن الأبوين إذا لم يكن ببلد الطلب من يُعرِّفُهُ واجبات الأحكام وشرائع الإسلام، أما إذا كان قد عرف علم المفترض عليه، فتكره له الرحلة إلا بإذن أبويه، وإذا منع الوالدان الطالب عن تعلم العلم المفترض، فيجب عليه مداراتهما والرفق بهما حتى تطيب له أنفسهما ويسهل ما أمره ما يشق عليهما[٧٢].

قال الحسن بن الهيثم البزار: قلت لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله إني أطلب الحديث، وإن أمي تمنعني من ذلك تريد مني أن أشتغل في التجارة، فقال لي: دارها وأرضها، ولا تدع الطلب[٧٣].

(٧١) [حديث صحيح]: أخرجه البخاري في صحيحه (٦٩١٧)، ومسلم (٢٥٤٩) وغيرهما.
(٧٢) الجامع للخطيب (٢/٢٢٨).
(٧٣) نفس المصدر السابق.

قدم يعقوب بن سفيان الفسوي، وهو من بلاد فارس إلى مصر، وأقام بها مدة يقول: ذاكرني زيد بن بشر. فقال: قد أقمتُ بمصر. أَفَحيٌّ أبواك؟ فقلت: أما الأم فنعم. وقد عزمت أن أحج العام، وأخرج إليها، فقال: سبحان الله. وتقيم إلى إبَّان الحج. ثم تحج وتخرج إليها؟ وما يؤمنك أن تموت فتبقى غُصَّةً في نفسك. ثم قال: ما كنت أظن أنك ترضى لنفسك هذه المنزلة تغيب عن أمك في طلب العلم. فقلت: إنها راضية بغيبتي عنها[٧٤].

قلت «المؤلف»: ولقد رأيتُ شيخنا الجليل/ أبا عبد الله العدوي لا يقبل أبدًا طالبًا للحديث حتى يستأذن والديه حتى أن الشيخ ليأخذ رقم هاتف والده ويتصل به، ليتأكد من ذلك، فجزاه الله خيرًا على حرصه على هذا البر.

٤٢- ومن أدب الطلب: الاهتمامُ بالكتبِ الشرعيةِ والحفاظُ عليها مِنَ التَّلفِ:

كان سلفنا الصالح يحافظون على كتبهم فيتعاملون مع الكتاب بمبدأ التوقير والاحترام، وعدم التهاون ولا الاستخفاف به، فهم يتعاهدون كتبهم بالنظافة والترتيب والإكرام لما تحمله من آية قرآنية، أو حديث نبوي، أو كلام الصحابة الكرام، أو تفسير لعالم جليل، ولا ينسون أن هذا الكتاب من نعم الله عليهم أن يسره لهم، فإن غيرهم لا يجدونه ولا يستطيعون شراءه.

قال ابن جماعة في «تذكرة السامع والمتكلم»: ويراعي الطالب الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها وشرفها ومصنفيها وجلالتهم، فيضع الأشرف أعلى الكل، ثم يراعي التدريج، فإن كان فيها المصحف

---

(٧٤) من أدب المحدثين. د/أحمد نور سيف (ص١٢١).

الكريم جُعل أعلى الكل، ثم يراعي التدريج ثم تفسير القرآن، ثم تفسير الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم الفقه، ثم النحو والصرف، ثم أشعار العرب... فإن استوى كتابان في فن أعلى أكثرها قرآنًا أو حديثًا(٧٥).

قال علي بن الحسن القطيعي:

جَلَّ قَدْرُ الكِتَابِ يَا صَاحِ عِنْدِي فَهُوَ أَغْلَى مِنَ الجَوَاهِرِ قَدْرًا

وقال ابن الجوربكي:

يَـا مَـنْ يَـرُومُ كِـتَـابِـي لِـنَـسْـخِـهِ إِنْ أَرَادَه
أَوْ رَغْـبَـةً فِـي اطِّـلَاعٍ يَـبْـغِـي بِـذَاكَ الـزِّيَـادَه
تَـوَقَّ فِـيـهِ خِـصَـالًا تَـسْـوِيـدُهُ وَفَـسَـادُه
وَنَـلْ مُـرَادَكَ مِـنْـهُ بِـالـفِـكْـرِ والاسْـتِـعَـادَه

٤٣- ومن أدب الطلب: الاهتمامُ بأدواتِ الكتابةِ من حسن القلم، وقوة الحبر، وجودة الورق، وبيان الخط الحسن، وإظهار شكل الكلمة خشيةَ التصحيفِ، والاهتمامُ بلفظ الجلالة، والصلاة على النبي ﷺ.

فقد قال سبحانه: هو يبين عظم شأن القلم: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١، ٢].

(٧٥) «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العلم والمتعلم» لابن جماعة (ص١٧٠).

قال قتادة: إن القلم نعمة من نعم الله عظيمة، ولولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش[٧٦].

قال الشعبي: من جلالة شأن القلم أنه لم يكتب لله كتاب إلا به[٧٧].

قال الخطيب البغدادي: ينبغي على طالب العلم ألا يكون قلمه أصمَّ صلبًا، فإن هذه الصفة تمنع سرعة الجري[٧٨].

وقال هشام بن الحكم: ببريق الحبر تستهدي العقول إلى خبايا الحكم[٧٩].

قال أحمد بن مهدي: أردت أن أكتب كتاب «الأموال» لأبي عبيدة القاسم بن سلام بماء الذهب، فخرجت لأشتري الحبر فلقيني أبو عبيدة فقال لي: اكتب بالحبر فإنه أبقى[٨٠].

بل قال محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة: أحسن الحبر السواد، لأنه كتب به الكتب المنزلة من السماء[٨١].

وقال الجاحظ: إذا لم يكن القرطاس صافيًا، والحبر ناميًا، والقلم مواتيًا، والقلب خاليًا، فلا عليك أن تكون عانيًا[٨٢].

وسُئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤]،

---

(٧٦) رواه الخطيب في جامعه (١/ ٢٥٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤١٣) لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
(٧٧) الخطيب في جامعه (١/ ٢٥٥).
(٧٨) الخطيب في جامعه (١/ ٢٥٦).
(٧٩) الخطيب في جامعه (١/ ٢٥٨).
(٨٠) الخطيب في جامعه (١/ ٢٥٠).
(٨١) نفس المصدر السابق.
(٨٢) الخطيب في جامعه (١/ ٢٥٧).

قال: جودة الخط[٨٣].

ورأى الإمام أحمد بن حنبل إسحاق بن حنبل يكتب خطًّا دقيقًا. قال: لا تفعل. أحوج ما تكون إليه يخونك[٨٤].

وعلى الطالب إذا أراد أن يكتب اسم عبد الله مثلا فلا يكتب كلمة عبد في نهاية السطر، ولفظ الجلالة في أول السطر الثاني، ثم يدخل عليها غير ذلك من الكلام، فهذا قبيح.

وعليه كتابه الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، فإن فيه كفاية الهموم وغفران الذنوب[٨٥].

٤٤- ومن أدب الطلب: أن لا يَتَتَّبع زلاتِ العلماء:

يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - في [الموافقات (٥/ ١٣٩)]: والحكم على زلة العالم هو من وظائف المجتهدين، فهم العارفون بما وافق أو خالف، وأما غيرهم فلا يتميز لهم في هذا المقام، فإن العالم بشر يخطئ ويصيب.

قال الحسين بن الفضل: لكل عالم هفوة، فلا تتبع زلة العالم لتظهر عورته، فإن هذا حرام عليك.

---

(٨٣) تفسير الطبري (٢٦/ ٢).

(٨٤) الخطيب في جامعه (١/ ٢٦١).

(٨٥) [إسناده ضعيف]: رواه أحمد (٥/ ١٣٦)، وعبد بن حميد (١٧٠)، والترمذي (٣٤٥٧)، وقال: [حسن صحيح]، من حديث أُبي بن كعب، ولكن فيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو ضعيف، تكلم فيه كثيرًا.
وقال الدارقطني في الأفراد: غريب من حديث الطفيل تفرد به سفيان الثوري.
وقد ضعفه شيخنا - حفظه الله - في تحقيقه لمسند عبد بن حميد (١٧٠).

قال ابن سيرين: ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره [البداية والنهاية (٩/ ٢٧٥)].

وقال الشعبي: لو أصبت تسعًا وتسعين مرة، وأخطأت مرة، لأعدوا عليَّ تلك الواحدة. [سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٨)].

وعلى النقيض من ذلك هناك أقوام يأخذون كلام العلماء كله صحيحه وخطأه، دون تمييز بسبب التقليد الأعمى.

يقول الإمام أحمد: لا تقلد في دينك الرجال، فإنهم لن يسلموا أن يغلطوا.

وقال ابن مسعود: ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلًا إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر. [جامع بيان العلم (ص٩٨٨)].

فعلى طالب العلم أن يعلم أن الخطأ من مقتضى الطبيعة البشرية لا يسلم منه إلا المعصوم ﷺ، وأن الخطأ لا يستلزم الإثم، بل المجتهد المخطئ مأجور.

قال ابن الأثير - رحمه الله -: وإنما السيد من عُدت سقطاته، وأُخذت غلطاته في الدنيا لا يكمل بها شيء. [اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ٩)].

مَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا   كَفَى الْمَرْءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

وقال ابن تيمية في [مجموع الفتاوى (٣٥/ ٦٩)]: وليس لأحد أن يتبع زلات العلماء، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل، فإن الله عفا للمؤمنين عما أخطأوا، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

يقول ابن القيم في [مدارج السالكين (٣/ ٥٢١)]: والكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريد بها أحدهما: أعظم الباطل، ويريد بها الآخر محض الحق،

والاعتبار بطريقة القائل وسيرته، ومذهبه، وما يدعو إليه ويناظر عنه.

قال الصنعاني: وليس لأحد من أفراد العلماء إلا وله نادرة ينبغي أن تغمر في جنب فضله وتجتنب.

يقول العز بن عبد السلام رحمه الله: لو رُفعت صغائر الأولياء إلى الأئمة والحكام لم يجز تعزيرهم عليها، بل يقبل عثرتهم، ويستر زلتهم، فهم أولى من أقيلت عثرته وسترت زلته [قواعد الأحكام (١/ ١٥٠)]

ويقول الإمام ابن القيم في [مدارج السالكين (٣/ ١٥٠)]: وهو يستدرك ألفاظ على الشيخ أبي إسماعيل الهروي، يقول في هذا اللفظ قلق وسوء تعبير، يجبره حسن حال صاحبه وصدقه وتعظيمه لله ورسوله ﷺ، ولكن أبى الله أن يكون الكمال إلا له.

ويقول عنه ابن تيمية: عمله خير من علمه اهـ.

٤٥- ومن أدب الطلب: حفظُ اللسانِ عنِ الكلامِ في علماءِ الأمةِ بسوءٍ:

أي: مراعاة حرمتهم، فإن لحوم العلماء مسمومة، وآية الله في حق منتقصيهم معلومة، فكلام المرء في علماء الأمة بسوء دلالة واضحة على أن قلبه فيه مرض، كما قال سبحانه: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٩].

يقول الذهبي - رحمه الله - في [ميزان الاعتدال (٢/ ٤٦)]: الكلام في الرجال لا يجوز إلا لتام المعرفة تام الورع.

فالعلماء لهم حقوق من جهات خمس:

الأولى: حق المسلم على أخيه المسلم.

الثانية: حقوق المسنين والأكابر.

الثالثة: حقوق حملة القرآن الكريم.

الرابعة: لهم حقوق العلماء والعاملين.

الخامسة: حقوق الأولياء الصالحين.

وفي [مغني المحتاج (٤/٤٢٧)] قال: الغيبة إذا كانت في أهل العلم وحملة القرآن الكريم، فهي كبيرة وإلا فصغيرة.

مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ عَلَى لِسَانِهِ رَقِيبًا وَعَمَلَهُ عَلَى قَوْلِهِ حَسِيبًا

وقد ظهر في هذه الأيام، أيام الفتن من يسبون ويطعنون في علماء السلف والسنة خاصة، وهم والله شرذمة قليلون.

قال ابن حزم في [مجموع الرسائل (ص٤١١)]: إذا حضرت مجلس علم فلا يكن حضورك إلا حضور مستفيد، مستزيد علمًا وأجرًا، لا حضور مستغن بما عندك، طالبًا عثرة تشنعها أو غريبة تشيعها، فهذه أفعال الأراذل الذين لا يفلحون في العلم أبدًا.

قال الشيخ بكر أبو زيد – حفظه الله –: إذا ظفرت بوهم لعالم فلا تفرح به للحط منه، وكن أفرح به لتصحيح المسألة فقط، فإن المنصف يكاد يجزم بأنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام، لاسيما المكثرين منهم، وما يشغب بهذا ويفرح به للتنقص إلا متعالم [يريد أن يطب زكامًا فيحدث به جُذامًا] [حلية طالب العلم (ص٥٨)].

وقال سفيان لمسعر: تحب أن يخبرك رجل بعيوبك؟ قال: أما أن يجيء إنسان فيوبخني بها فلا، وأما أن يجيء ناصح فنعم.

قال يحيى بن معين: أخطأ عفان في نيف وعشرين حديثًا ما أعلمت بها أحدًا وأعلمته سرًّا.

قال الشافعي رحمه الله:

تَعَهَّدْنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي ... وَجَنِّبْنِي النَّصِيحَةَ فِي الجَمَاعَةْ

فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ ... مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهْ

فَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي ... فَلَا تَغْضَبْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَةْ

[الفرق بين النصيحة والتعيير (ص٢٨)].

فالشاهد والمقصود أن نعلم أن لأهل العلم حرمة، فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ»**(٨٦).

وقال ﷺ: **«وَشِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ**

---

(٨٦) [حديث صحيح]: رواه أحمد (٣٨٣٩)، البخاري في الأدب المفرد (٣١٢)، الحاكم (١/ ١٢)، ابن حبان (٤٨ موارد). بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود مرفوعًا. فالحديث صحيح من هذا الطريق والحمد لله.
ورواه البزار (١٩١٤) من حديث ابن مسعود أيضًا، ولكن في الطريق إليه عبد الرحمن بن مغراء، وهو ضعيف.
ورواه أحمد (١/ ٤٠٥)، والترمذي (١٩٧٧)، وقال: حسن غريب، وقد روي عن ابن مسعود من غير هذا الوجه.
وفي طريق حديث الترمذي محمد بن سابق، ضعفه بعضهم، وقال بعضهم صدوق، ولكن الحديث غير محفوظ من روايته كما قال يعقوب بن أبي شيبة وابن المديني، بل قال حديث منكر من رواية محمد بن سابق.
ورواه الحاكم (١/ ١٣)، من حديث ابن مسعود كذلك، ولكن في الطريق إليه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو سيء الحفظ وقد سكت الذهبي عن الحديث في التلخيص.
ورواه الدارقطني من طرق عن ابن مسعود في العلل (٥/ ٩٢- ٩٣)، ورجح الوقف.
وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٠).

الْبَاغُونَ الْبُرَآءَ الْعَنَتَ»[٨٧].

قال ابن المبارك: من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته [سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٨)].

قال ابن الأذرعي: الوقيعة في أهل العلم ولاسيما أكابرهم من كبائر الذنوب [الرد الوافر (ص١٩٧)].

قال مالك بن دينار: كفى بالمرء شرًّا أن لا يكون صالحًا، وهو يوقع في الصالحين [شعب الإيمان للبيهقي (٥/ ٣١٦)].

قال الإمام أحمد: لحوم العلماء مسمومة، من شمها مرض، ومن أكلها مات [المعيد في أدب المفيد والمستفيد (ص٧١)].

قال ابن عساكر: اعلم أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك

---

(٨٧) [حسن بمجوع الطرق]: رواه أحمد (٤/ ٢٢٧)، من حديث عبد الرحمن بن غنم مرسلًا وفي الطريق إليه شهر بن حوشب وهو ضعيف، ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر مرفوعًا، وفيه انقطاع لعدم سماع ابن أبي حسين من ابن عمر ثم علة أخرى وهي ضعف عبد الله بن لهيعة.
ورواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٦)، من حديث عمر بن الجموح مرفوعًا، وفيه أبي منصور الراوي عن عمرو [مجهول]، ورواه كذلك من حديث شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد وشهر ضعيف، وضعفه العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ١٦٢)، والحديث رواه ابن المبارك في الزهد (٢١٧)، عن سعيد بن جبير موقوفًا عليه، والحديث ضعفه الألباني مرفوعًا في الضعيفة (١٨٦١).
والحديث له شاهد عند ابن أبي الدنيا في الصمت (٢/ ٥/ ٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، ولكن في الطريق إليه صالح المري وهو منكر الحديث، كما قال البخاري وفيه سعيد الجريري وقد اختلط.
ومع هذا كله ذهب شيخنا/ أبو عبد الله العدوي إلى أنه [حسن بمجموع الطرق] خاصةً من رواية أحمد (٤/ ٢٢٧)، والله أعلم.

أستار منتقصيهم معلومة ؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم [تبيين كذب المفتري (ص٢٨)].

قال الإمام أحمد: إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام، فإنه كان شديدًا على المبتدعة.

واعلم أخي أن ظاهرة التطاول على العلماء قديمًا وحديثًا لها أسباب، نلخصها فيما يلي.

* * *

[ما هي أسباب ظاهرة التطاول على العلماء؟!]

السبب الأول: تشييخ الصحف وافتقاد القدوة:

قال أبو زرعة: لا يُفتي الناس صُحُفِي، ولا يقرئهم مُصْحَفِيّ [الفقيه والمتفقه (٢/٩٧)].

قال الشافعي: من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام، ثم قال:

مَنْ يَأْخُذ العِلْمَ عَنْ شَيْخٍ مُشَافَهَةً ... يَكُنْ مِنَ الزَّيْغِ وَالتَّحْرِيفِ فِي حَرَامِ
وَمَنْ كَانَ أَخْذُهُ العِلْمَ عَنْ كُتُبٍ ... فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ كَالعَدَمِ

قال السخاوي: من دخل في العلم وحده خرج وحده. أي من دخل في العلم بلا شيخ خرج منه بلا علم، إذ العلم خذ عنه. [الجواهر والدرر (١/٥٨)].

قال أبو حيان:

يَظُنُّ الغَمْرُ أَنَّ الكُتُبَ تَهْدِي ... أَخَا فَهْمٍ لإِدْرَاكِ العُلُومِ
وَمَا يَدْرِي الجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا ... غَوَامِضُ حَيَّرَتْ عَقْلَ الفَهِيمِ
إِذَا رُمْتَ العُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ... ضَلَلْتَ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ
وَتَلْتَبِسُ الأُمُورُ عَلَيْكَ حَتَّى ... تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ «تُومَا الحَكِيمِ»

[حلية طالب العلم (ص٢٢)].

***

السبب الثاني: استعجالُ التَّصدرِ قبلَ تحصيلِ الحد الأدنى منَ العلمِ الشَّرعي بحجةِ الدَّعوةِ:

قال عمر بن الخطاب: تفقهوا قبل أن تسودوا [فتح الباري (١/ ١٦٦)].

قال الشافعي: إذا تصدر الحدث فاته علم كثير [الفقيه والمتفقه (٢/ ٦٨)].

قال مالك: قيل لربيعة بن أبي عبد الرحمن لماذا تبكي؟ قال: لأنه اسْتُفْتِيَ من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم ولكن من يفتي هاهنا أحق بالسجن من السراق [جامع بيان العلم (٢٤١٠)].

قال الشاطبي في الموافقات: السائل لا يصح أن يسأل من لا يعتبر في الشريعة جوابه ؛ لأنه إسناد أمر إلى غير أهله، والإجماع على عدم صحة مثل هذا، بل لا يمكن في الواقع ؛ لأن السائل يقول لمن ليس بأهل لما سئل عنه أخبرني عما لا تدري، وأنا أسند أمري لك فيما نحن بالجهل به على سواء (٤/ ١٩٢).

السبب الثالث: التَّعالُم وتصدُّرُ الأحْدَاثِ:

قال ابن مسعود: إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم فإذا كان العلم في صغاركم سفه الصغير الكبير [جامع بيان العلم (١٠٥٩)].

قال أبو الحسن القالي رحمه الله:

تَصَدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ كُلُّ مَهْوسٍ   بَلِيدٍ تَسَمَّى بِالفَقِيهِ المُدَرِّسِ

فَحُقَّ لِأَهْلِ العِلْمِ أَنْ يَتَمَثَّلُوا ... بِبَيْتٍ قَدِيمٍ شَاعَ فِي كُلِّ مَجْلِسِ
لَقَدْ هَزِلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هِزَالِهَا ... كُلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ

السبب الرابع:
الاغترار بكلامِ العلماءِ بعضُهم في بعضٍ

قال الذهبي رحمه الله: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينجو منه إلا من عصمه الله، وما علمت أن عصرًا من الأعصار سَلِمَ أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس [ميزان الاعتدال (١/ ١١١)].

قال الإمام أحمد: كل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحد حتى يتبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه [تهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٣)].

قال الذهبي في [السير (١٨/ ١٨٦] في ترجمة ابن حزم: . . . وصنف في ذلك كتبًا كثيرة، وناظر عليه وبسط لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجج العبارة، وسب وجدع، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة وهجروها، ونفروا منها، وأحرقت في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء، وفتشوها انتقادًا واستفادة وأخذًا ومؤاخذة، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجًا في الرضف بالخرز الثمين، فتارة يطربون، ومرة يعجبون، ومن تفرده يهزؤون، وفي الجملة فالكمال عزيز، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

وقال الشاطبي في [الموافقات (١/ ١٤٤)]: وبهذا وقع التشنيع على

ابن حزم الظاهري، وأنه لم يلازم الأخذ عن الشيوخ، ولا تأدب بآدابهم وبضد ذلك كان العلماء الراسخون كالأئمة الأربعة وأشباههم.

ومع هذا كله فلا ننسى أن ابن حزم من العلماء الكبار الذين لهم في العلم قدم صدق.

السبب الخامس:
جهلُ المنتقِدِين بأقدارِ مَنْ ينتقدُونَهم من العلماءِ:

قال ابن المبارك: قدمت الشام على الأوزاعي فقال لي: يا خراساني من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة؟ قال ابن المبارك: فمكثت ثلاثة أيام استخرج جياد المسائل من كتب أبي حنيفة، ثم جئته بتلك المسائل فقرأها الأوزاعي، فقال: لمن هذا الكتاب؟ قلت: رجل يسمى النعمان بن ثابت لقيته بالعراق، فقال: هذا نبيل من المشايخ اذهب فاستكثر منه قلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه.

قال الأوزاعي: ثم إني جاورت أبا حنيفة في مكة، فقلت الرجل عنده علم كثير، وعقل وفير، وأستغفر الله تعالى لقد كنت في غلط ظاهر يا ابن المبارك الزم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه [الخطيب البغدادي في تاريخه (١٣/٣٣٨)].

السبب السادس:
التأثرُ بفوضَويةِ الغَربيين ونَعَراتِهم:

فالغربيون جعلوا قضايا الأمة المصيرية في أيدي عامة الناس باسم الديمقراطية، رغم أن هذه القضايا لا يحلها إلا أهل الحل والعقد من

أهل العلم.

ويصدق فيهم قول الرسول ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[٨٨].

وقال ﷺ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[٨٩].

---

(٨٨) [صحيح لشواهده]: رواه أحمد (٢/ ٢٩١)، وابن ماجه (٤٠٤٢)، والحاكم (٤/ ٤٦٥)، من طريق عبد الملك بن قدامة الجمحي عن إسحاق بن أبي الفرات، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا، ولكن فيه ابن قدامة وقد ضعفه أبو حاتم والذهبي وغيرهما، وعلة أخرى، وهي جهالة إسحاق بن أبي الفرات.
وأخرجه أحمد (٢/ ٣٣٨) من طريق فليح بن سليمان عن أبي هريرة مرفوعًا، ولكن فليحًا ضعيف.
وله شاهد من حديث أنس بن مالك مرفوعًا عند أحمد (٣/ ٢٢٠)، ولكن فيه محمد بن إسحاق، وقد عنعن.
وله شاهد ثان من حديث عوف بن مالك الأشجعي مرفوعًا عند الطحاوي في مشكل الآثار (٤٦٤)، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٢٥)، والبزار (زوائد ٣٣٧٣)، ولكن فيه شمر بن يقظان الراوي عن عوف بن مالك.
قد ذكره أبو حاتم في الجرح والتعديل (٤/ ٣٧٦)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، ولم يوثقه سوى ابن حبان (٤/ ٣٦٧)، وفيه علة ثانية، وهي عنعنة محمد بن إسحاق، ويونس بن بكير صدوق يخطئ.
وقد ذهب ابن معين إلى تفرد عبد الله بن دينار برواية هذا الحديث عن أنس بن مالك كما نقله عنه بسنده ابن عدي في الكامل (٦/ ١٠٥)، وذهب أبو حاتم (٢/ ٤٢٨)، «سؤالات البرذعي» لأبي زرعة (١/ ٣٢٩) إلى تجريح نفس هذا الطريق، ولكن بقي طريق أبي هريرة، وطريق عوف بن مالك الأشجعي، فيحسن الحديث بهما، والله أعلم.
وقد حسن الحديث العلامة الألباني في الصحيحة (١٨٨٧)، وقال شيخنا العدوي [صحيح لشواهده]، كما في الصحيح المسند من أحاديث الفتن. والله أعلم.

(٨٩) رواه البخاري (١/ ١٤٢) فتح.

السبب السابع: التَّعصبُ الحِزبي والبَغْي، وعقْد الولاءِ على غيرِ الكتابِ والسنةِ:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في [مجموع الفتاوى (١١/ ٥١٢)]: وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعته، ويعادي على ذلك، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان، ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم، ولا يخص أحدًا بمزيد موالاة إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه، فيقدم من قدم الله ورسوله عليه، ويفضل من فضله الله ورسوله.

السبب الثامن: التحاسدُ والتنافسُ على العلُو والرياسةِ:

قال الفضيل بن عياض: ما من أحدٍ أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس، وكره أن يُذكر أحد بخير.

وقال الأوزاعي - رحمه الله - لبقية بن الوليد: يا بقية لا تذكر أحدًا من أصحاب محمد نبيك إلا بخير، ولا أحدًا من أمتك، وإذا سمعت أحدًا يقع في غيره، فاعلم أنه إنما يقول: أنا خير منه.

السبب التاسع: عدمُ التَّثبُتِ في النقلِ:

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: من الغلط الفاحش الخطر قبول قول الناس بعضهم ببعض، ثم يبني عليه السامع حبًّا وبغضًا، ومدحًا وذمًّا فكم حصل بهذا الغلط أمور صار عاقبتها الندامة، وكم أشاع

الناس عن الناس أمورًا لا حقائق لها بالكلية.

أولها بعض الحقيقة فنميت بالكذب والزور، وخصوصًا من عرفوا بعدم المبالاة بالنقل، أو عرف منهم الهوى، فالواجب على العاقل التثبت والتحرز، وعدم التسرع.

وبهذا يعرف دين العبد ورزانته وعقله [الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة (٢٧٢)].

السبب العاشر: الفراغ:

فالفراغ إذا لم يملأ بالعمل الصالح، كانت ثمرته الطعن في أهل الصلاح والعلم.

قال الحسن البصري: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

وفي المثل العربي: ويل للشجر من الخلى، وويل للعالم من الجاهل، ويصدق في هذا كله قوله ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»(٩٠).

السبب الحادي عشر: الجحودُ وعدمُ الإنصافِ:

قال الشافعي: الحر من راعى وداد لحكة، وانتمى لمن أفاده لفظة.

صُحْبَةُ يَوْمٍ نَسَبٌ قَرِيبٌ وَذِمَّةٌ يَعْرِفُهَا اللَّبِيبُ

وقال محمدُ بن واسع: لا يبلغ العبد مقام الإحسان حتى يحسن إلى كل

(٩٠) [صحيح]: رواه أحمد (١/ ٣٤٤)، والبخاري (١١/ ٢٢٩)، والترمذي (٢٣٠٤).

من صحبه ولو ساعة.

يقول الشاعر:

فَيَا عَجَبًا لِمَنْ رَبَّيْتُ طِفْلًا ... أُلَقِّمُهُ بِأَطْرَافِ البَنَانِ
أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
أُعَلِّمُهُ الفُتُوَّةَ كُلَّ حِينٍ ... فَلَمَّا طَرَّ شَارِبُهُ جَفَانِي
أُعَلِّمُهُ الرِّوَايَةَ كُلَّ وَقْتٍ ... فَلَمَّا صَارَ شَاعِرُهَا هَجَانِي

الثاني عشر: الكسبُ المادي من وراءِ هذا الطعنِ: [أي: حب الشرف والمال].

وهذا ظاهر جلي واضح في هذا الزمان، أو لكسب منصب، أو ليظهر على الجماهير العريضة.

يقول الشوكاني - رحمه الله - في [الأدب (ص٤٢)]:
ومن جملة الأسباب التي يتسبب منها: ترك الإنصاف، ويصدر عنها: البعد عن الحق، وكتم الحجة، وعدم ما أوجبه الله من البيان، حب الشرف والمال اللذين هما أعدى على الإنسان من ذئبين ضاريين كما وصف بذلك رسول الله ﷺ، فإن هذا السبب الذي حرف به أهل الكتاب كتب الله المنزلة على رسله وكتموا ما جاءهم فيها من البينات والهدى، كما وقع من أخبار اليهود، وقد أخبرنا الله بذلك في كتابه العزيز(٩١)، وأخبرنا رسول الله ﷺ في الثابت عنه في الصحيح.

(٩١) مثل قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩].

وبهذا السبب بقي من بقي على الكفر من العرب وغيرهم بعد قيام الحجة عليهم، وظهور الحق لهم وبه نافق من نافق، ووقع في الإسلام من أهل العلم بذلك السبب عجائب مودعة بطون كتب التاريخ، وكم من عالم قد مال إلى هوى ملك من الملوك، فوافقه على ما يريد وحسن له ما يخالف الشرع، وتظهر له بما ينفق لديه من المذاهب، بل وقد وضع بعض المحدثين للملوك أحاديث عن رسول الله ﷺ كما وقع من وهب بن وهب « أبو البختري» مع الرشيد(٩٢).

ووقع من آخر في حديث «**لَا سَبْقَ إِلَّا في خُفٍّ أَوْ حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ**». فزاد في الحديث «أو جناح»(٩٣) موافقة للملك الذي رآه يلعب بالحمام ويسابق بينها. . . ولا حامل لهم على ذلك إلا حب الدنيا، والطمع في الحطام، والتقرب إلى أهل الرئاسة بما ينفق لديهم ويروج عليهم، نسأله الله الهداية والحماية من الغواية. اهـ.

❖ ❖ ❖

(٩٢) ميزان الاعتدال للذهبي (٣/٢٧٨)].

(٩٣) مفاتيح علوم الحديث وطرق تخريجه.

إذًا فما هي صفة ذلك العالم؟

قال سبحانه: قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

١- قال ابن عبد البر في الجامع رقم (١٢٤١): قال الحسن البصري: العالم الذي وافق علمه عمله، ومن خالف علمه عمله فذلك راوية حديث، سمع شيئًا فقاله.

٢- وقال سفيان الثوري: العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا [السابق (١٢٤٩)].

٣- قال إبراهيم بن أشعت: إذا وجدتم الرجل معروفًا بشدة الطلب، ومجالسة الرجال فاكتبوا عنه [الرحلة في طلب الحديث (ص٩١)].

٤- قال مالك: ما جلست للعلم حتى شهد لي سبعون شيخًا من أهل العلم أني موضع لذلك [الديباج المذهب في علماء المذهب، لابن فرحون (ص٢١)].

٤- قال ابن قيم الجوزية: إن الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر، ما أزالت يقينه ولا قدحت فيه شكًّا؛ لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردها حرس العلم مغلولة مغلوبة [مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠)].

٥- باستقامته على منهج أهل السنة والجماعة وهدي السلف الصالح، وبراءته من البدع الضالة وصحة مواقفه العلمية والعملية، وثباته في الفتن والابتلاءات، وبآثاره من الإنتاج العلمي، والتصنيف والدروس والفتاوى وكذا تلاميذه.

٦- أن يوضع له القبول في الأرض فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**»(٩٤).

٧- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في [الفتاوى (١١/ ٤٣)]: ومن له في الأمة لسان صدق عام بحيث يُثنى عليه، ويحمد في جماهير في أجناس الأمة، فهؤلاء أئمة الهدى ومصابيح الدجى، اهـ.

قلت: فلا تأخذ العلم ممن علم غيره ونسي نفسه، ففي الحديث عن جندب بن جنادة مرفوعًا: «**مَثَلُ العَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الخَيْرَ وَيَنسَى نَفْسَهُ، كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ**»(٩٥).

يقول الدوري - رحمه الله - في موعظته:

يَتُوبُ عَلَى يَدَيَّ قَوْمٌ عُصَاةٌ ... أَخَافَتْهُمْ مِنَ البَارِي ذُنُوبُ
وَقَلْبِي مُظْلِمٌ مِنْ طُولِ مَا قَدْ ... جَنَى فَأَنَا عَلَى يَدِ مَنْ أَتُوبُ
كَأَنِّي شَمْعَةٌ مَا بَيْنَ قَوْمٍ ... تُضِيءُ لَهُمْ وَيَحْرِقُهَا اللَّهِيبُ
كَأَنِّي مَخِيطٌ يَكْسُو أُنَاسًا ... وَجِسْمِي مِنْ مَلَابِسِهِ سَلِيبُ

ومن أجل الحفاظ على نفسك أخي الطالب من الوقوع في تلك

---

(٩٤) رواه البخاري (١٣/ ٤٦١)، ومسلم (٢٦٣٧)، والترمذي (٣١٦٠).

(٩٥) [إسناده ضعيف]: رواه الطبراني في الكبير (٢/ ١٦٨١) من حديث الأعمش عن أبي تميمة عن جندب بن عبد الله البجلي مرفوعًا، والحديث فيه علي بن سليمان الكلبي، قال عنه الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٣٢): لا أعرفه.
انظر إتحاف المهرة (١/ ٣٠٤)، كنز العمال للهندي (٢٩٨٧٥)، الدر المنثور (١/ ٦٥)، وقال أبو حاتم في العلل (٢/ ١٢٤): لا يشبه هذا الحديث حديث الأعمش؛ لأن الأعمش لم يرو عن أبي تميمة شيئًا، وهو بأبي إسحاق أشبه، فالسند ضعيف، والله أعلم.

الظاهرة السيئة فأنا أضع بين يديك قواعد في كيفية التعامل مع علماء الأمة [نقلتها من كتاب «قواعد في التعامل مع العلماء»] للشيخ عبد الرحمن اللويحق.

❁ ❁ ❁

القاعدة الأولى: موالاةُ العلماءِ ومحبتُهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فيجب على المسلمين بعد موالاة الله تعالى ورسوله ﷺ موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن خصوصًا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يُهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم [رفع الملام عن الأئمة الأعلام (ص١١)]

قال الإمام الطحاوي - رحمه الله -: وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخبر والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل [شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٤٠)]

القاعدة الثانية: احترامُ العلماءِ وتقديرُهم:

ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا**»[٩٦].

قال طاووس: من السنة أن يوقر أربعة: [العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد].

وهذا هو الإمام مسلم صاحب الصحيح يهم بتقبيل رِجْلِ البخاري، ويقول: دعني حتى أُقَبِّلَ رجليْك يا أستاذَ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيبَ الحديثِ في علله [البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٣٤٠)].

---

(٩٦) [سبق تخريجه]: أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٣)، والحاكم (١/ ٢١١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٣١٩).

القاعدة الثالثة: الصَّبرُ على العلماءِ وشدَّتِهِم أحيانًا:

قال لقمان لابنه: اصبر نفسك لمن هو فوقك في العلم، ولمن هو دونك، فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم ولازمهم، واقتبس من علمهم في رفق [جامع بيان العلم وفضله (١/١٠٧)].

وقال الشافعي رحمه الله: قيل لسفيان بن عيينة: إن قومًا يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم يوشك أن يذهبوا، أو يتركوك، فقال للقائل: هم إذًا حمقى مثلك إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي.

القاعدة الرابعة: رعايةُ مراتبِ العلماءِ:

فالعلم مراتب: ولكل عالم منزلة وقد أمرنا أن ننزل الناس منازلهم.

قال الذهبي رحمه الله: الجاهل لا يعلم رتبة نفسه، فكيف يعرف رتبة غيره [سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٢١)]

ومن مراعاة مراتب العلماء أن تراعي تخصصه إذا كان يغلب عليه فن من الفنون.

قال ابن عباس: خطب عمر بن الخطاب يومًا بالجابية، فقال: أيها الناس من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد الفقه فليأت معاذ بن جبل.

وأن تراعي عمره، فإن العالم كلما كبر سنه رسخ علمه، وازداد من التجارب ما لم يدركه غيره.

قال عمر بن الخطاب: فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير

استعصى عليه الكبير، وصلاح الدين إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير [صححه ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٠١)].

القاعدة الخامسة: التماسُ العذرِ للعلماءِ:

فالأصل في التعامل بين المسلمين بعضهم مع بعض قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢].

قال عمر بن الخطاب: لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءًا، وأنت تجد لها في الخير محملًا. [تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٣)].

يقول الإمام السبكي رحمه الله: فإذا كان الرجل ثقة مشهودًا له بالإيمان والاستقامة، فلا ينبغي أن يحمل كلامه وألفاظ كتاباته على غير ما تعود منه ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح وحسن الظن الواجب به وبأمثاله [قاعدة في الجرح والتعديل (ص٩٣)].

١- ومن أكثر ما يهمز به العلماء السكوت في وقت المحن خوفًا، والأخذ بالرخصة في ذلك، فيلام على ترك العزيمة بإشهار كلمة الحق، وهذا ولا شك أولى في حق العلماء الذين يُقتدى بهم، ولكن العالم بشر يخاف، ويخشى لاسيما مع كبر السِّن وضعف البدن، فهذا علي بن المديني رحمه الله شيخ البخاري أجاب القوم أثناء محنة القرآن، ثم قال: قوي أحمد على السوط وأنا لا أقوى.

٢- وكذلك يتكلمون في أن بعض العلماء يأخذ مالًا من أهل السعة، أو من الدولة، وقد نسي هؤلاء أنه يجب على بيت المال اكفاف العلماء وطلبة العلم والدعاة، ولكن أين بيت المال؟ فالعالم يحتاج وقت للاطلاع،

والرحلة، ومال ليطعم به أولاده وزوجته، ومال لشراء الكتب فكيف يجمع بين الدنيا والدين؟

قال بشر الحافي: رأيت أبا نعيم في المنام، فقلت: ما فعل الله بك فيما كنت تأخذه من المال على الحديث؟ فقال: نظر القاضي في أمري فوجدني ذا عيال فعفا عني. [سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٥٢)].

٣- وكذلك هناك بعض العلماء ذو سماحة زائدة، وكرم عالٍ، وحياء شديد حتى إذا جاءه صاحب بدعة فجلس إليه، فلا يستطيع أن يطرده، أو يكفهر في وجهه، فيظن الجاهل أنه يخالطهم ويصادقهم.

قال الواقدي في ابن أبي ذئب: ورمي بالقدر، وما كان قدريًّا، لقد كان يتقي قولهم، ويعيبه، ولكنه كان رجلًا كريمًا يجلس إليه كل أحد، ويغشاه فلا يطرده، ولا يقول له شيئًا، وإن مرض عاده فكانوا يتهمونه بالقدر لهذا وشبهه.

قال الذهبي: كان حقه أن يكفهر في وجوههم، ولعله كان حسن الظن بالناس [السير (٧/ ١٤١)].

القاعدة السادسة:
ليس أحدٌ إلا وتُكلّم فيه فتَثَبَّتْ:

قال الشافعي رحمه الله: ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر الذي فيه صلاحك فالزمه [السير (١٠/ ٤٢)].

قال الذهبي: وقل من برز في الإمامة ورد على من خالفه إلا عودي، نعوذ بالله من الهوى [السير: (١٠/٨- ٩)].

قال البخاري: ولم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم، وذلك نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي، وكلام الشعبي في عكرمة، وكذلك من كان قبلهم، وتناول بعضهم في العرض والنفس، ولم يلتفت أهل العلم إلى ذلك، ولا سقطت عدالة أحد إلا ببرهان ثابت وحجة [نصب الراية للزيلعي (٤/ ٤١٦)].

القاعدة السابعة:
الاعتبارُ في الحكمِ بكثرةِ الفضائلِ:

فالعلماء على الجملة عدول ثقات، وهم خير البرية وصفوة الأمة، وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يغتفر قليل خطأ العالم بالنسبة لكثير صوابه، والنادر لا حكم له، والعبرة على الغلبة لا على النُدرة.

قال سعيد بن المسيب: ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله، كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله [جامع بيان العلم (٢/ ٤٨)].

قال ابن القيم رحمه الله: ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تُهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين [إعلام الموقعين (٣/ ٢٨٣)].

وقال ابن رجب رحمه الله: والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه [القواعد لابن رجب (ص٣)].

يقول الذهبي رحمه الله: وإنما يمدح العالم بكثرة ما له من الفضائل،

فلا تدفن المحاسن لورطةٍ، ولعله رجع عنها وقد يغفر له باستفراغه الوسع في طلب الحق، ولا قوة إلا بالله [السيرة (٥/ ٢٧١)].

يقول القائل:

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ

وقيل:

فَإِنْ يَكُنِ الفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ الَّلاتِي سُرِرْنَ كَثِيرُ

القاعدة الثامنة: كلامُ الأقرانِ يُطوى ولا يُروى:

قال ابن عباس: استمعوا علم العلماء، ولا تصدقوا بعضهم على بعض [جامع بيان العلم (٢/ ١٥١)].

قال مالك بن دينار: يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم في بعض [جامع بيان العلم (٢/ ١٥٢)].

قال الذهبي: كلام الأقران إذا تبرهن أنه بهوى وعصبية، لا يلتفت إليه بل يطوى ولا يُروى [السير (١٠/ ٩٢)] وقال: ما علمت أن عصرًا من الأعصار سَلِم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس [ميزان الاعتدال (١/ ١١١)].

القاعدة التاسعة: ثِقْ في أهلِ العلمِ؛ فإنَّهم أئمةُ الهدى ومصابيحُ الدُّجى:

فنحن في زمان قد انعدمت فيه القدوات بل وقدم التافهون على أنهم

مصابيح نور، وهم والله طين وظلمة، فلابد أخي أن تكون قدوتك وثقتك في أهل العلم، فهم إن سكتوا فلمصلحة أعظم، ومفسدة أقل، بل هم أدرى بمصلحتك منك، فقد يرشدك شيخك إلى كتاب، أو علم قليل، أو مسائل صغيرة، فلا تستهن بها وتستخفها، بل عض عليها بالنواجذ.

قال البخاري: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

قال ابن حجر: والمراد بصغار العلم: ما وضح من مسائله وبكباره ما دق منها [فتح الباري (١/ ١٩٥)] ط الريان.

❁ ❁ ❁

٤٦- ومن أدب الطلب: أن يقدِّمَ كلامَ الأوَّلين من السلف على كلامِ المتأخّرين:

وخاصة كلام القرون الثلاثة الأول، وذلك لقوله ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(٩٧).

فالجيل الأول: هم الصحابة، والثاني هم: التابعون، والثالث: تابعو التابعين.

وعن الأوزاعي قال: عليكم بعلم من قد مضى، فإن الأحياء لا يؤمن عليهم الفتنة.

بل لما انفرد بقية بن الوليد بن مسلم عن شعبة بلفظة في حديث لم يقبلها الإمام أحمد، وقال: وأين أصحاب شعبة؟ فالسلف الأول هم أحسن عقولًا، وأصدق لهجة، وأصفى قلوبًا، وهم الذين نقلوا إلينا هذا العلم، فهم أعرف بأصوله ودقائقه، فكلام أبي حاتم الرازي، وأبي زرعة، والبخاري، والترمذي، وأحمد، والنسائي، ويحيى بن معين، يقدم على غيرهم، ولكن لا مانع أن يجمع المتأخر شيئًا مما فات المتقدم من باب كم ترك الأول للآخر؟

ولكن الأصل أن كلام السلف أفضل من كلام الخلف.

قال ابن رجب الحنبلي: فأما الأئمة وفقهاء الحديث فإنهم يتبعون الحديث الصحيح حيث كان إذا كان معمولًا به عند الصحابة، ومن بعدهم، أو عند طائفة منهم.

---

(٩٧) رواه البخاري في المناقب (٢٩/ ٢)، ومسلم في الفضائل (٩٨/ ٩).

فأما ما اتفق السلف على تركه فلا يجوز العمل به ؛ لأنهم ما تركوه إلا على علم أنه لا يُعمل به(٩٨).

وقال عمر بن عبد العزيز: خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم، فإنهم كانوا أعلم منكم(٩٩).

وقال معروف الكرخي: إذا أراد الله بعبد خيرًا، فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شرًّا أغلق عنه باب العمل، وفتح له باب الجدل(١٠٠).

وقال عمر بن عبد العزيز: إن السابقين عن علم وقفوا وببصر نافذ قد كفوا، وكانوا هم أقوى على البحث لو بحثوا(١٠١).

قال ابن رجب الحنبلي: وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم، فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة، ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله. ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين... وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح، وإساءة ظن بهم ونسبته لهم إلى الجهل وقصور العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد صدق ابن مسعود في قوله في الصحابة: إنهم أبر الأمة قلوبًا وأعمقها علومًا، وأقلها تكلفًا(١٠٢).

وقال ابن مسعود: كذلك إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه،

---

(٩٨) أورده ابن رجب الحنبلي في رسالته [بيان فضل علم السلف على علم الخلف] (ص٢٠).

(٩٩) أورده ابن رجب الحنبلي في رسالته [بيان فضل علم السلف على علم الخلف] (ص٢٠).

(١٠٠) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٦١)، والخطيب في «اقتضاء العلم» (ص٨٠) من قول معروف الكرخي.

(١٠١) أورده ابن رجب الحنبلي في رسالته [بيان فضل علم السلف على علم الخلف] (ص٢٠).

(١٠٢) شرف أصحاب الحديث (ص٩١)

وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه وكثير خطباؤه، فمن كثر علمه وقل قوله فهو الممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم(١٠٣).

قال الأوزاعي: العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺ، فما كان غير ذلك فليس بعلم(١٠٤).

٤٧- ومن أدب الطلب: الحرصُ على التَّحدثِ باللغةِ العربيةِ:

فهي اللغة التي نزل بها القرآن على خير الأنام ﷺ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: ١١٣].

وقال سبحانه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥] وغيرها من الآيات، فينبغي على طالب العلم أن يتحدث بلغة الإسلام ولسانه المبين.

فاللغة العربية من أهم عوامل التوحيد والتلاقي بين الأمم والشعوب لمواجهة تلك القوى العاتية الباغية الخبيثة التي تجتاح بلاد المسلمين.

وأذكر إخواني أن سيبويه والفراء والكسائي وابن جني هؤلاء أئمة اللغة العربية وكلهم من أصول أعجمية لا عربية.

ولا تقل أخي إنها صعبة لأن الله قد سهلها فقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧].

---

(١٠٣) [إسناده صحيح]: رواه ابن أبي خيثمة في العلم (١٠٩) بسند صحيح، ورواه الطبراني في الكبير (٨٥٦٦) بنحوه بسند جيد، ورواه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٩) بلفظ مقارب، وإسناده قوي، وقد صححه ابن حجر في الفتح (١٠/ ٥١٠).

(١٠٤) أخرجه ابن عبد البر في جامعه (٢/ ٢٩).

ولا تقل أن العوام لا يفهمونها فإنهم لم يتعودوا عليها، ولو تعودوا لسهل الأمر عليهم.

بل إن جمال أحكام الشريعة لم تفهم بمراد الله لبعدنا نحن عن لغة القرآن.

فاحرص أخي الطالب على أن تتكلم بها بقدر استطاعتك.

فإن نبينا ﷺ قال: «**لَا تَغْلِبَنَّكُم الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمْ، أَلَا إِنَّهَا الْعِشَاءُ وَهُمْ يُعْتِمُونَ بِالْإِبِلِ**». [رواه مسلم (٦٤٤) من حديث ابن عمر مرفوعًا].

فمناسبة الحديث أن العشاء لها اسمان أحدهما وأشهرهما (العشاء) كما قال سبحانه ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾ [النور: ٥٨].

والاسم الآخر: هو العتمة كما قال رسول الله ﷺ: «**وَلَوْ عَلِمُوا مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**». [رواه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

فلصلاة العشاء إذن اسمان (العشاء) و(العتمة) ولكن الاسم الأكثر استعمالًا والأحب إلى رسول الله هو العشاء وهو الذي جاء في كتاب الله.

أما العتمة فهي لغة الأعراب، فهو لم يحب أن تغلب هذه اللغة على اللغة الأصح والأفضل والأشهر في أهل المدينة.

فكن حريصًا أخي الطالب على ألا تغلب عليك اللغة العامية. [من كتاب «خطب العام» لشيخنا أبي عبد الله مصطفى بن العدوي حفظه الله].

❁ ❁ ❁

طَرَفٌ مِنْ
أَدَبِ الطَّالِبِ مَعَ إِخْوَانِهِ

أدبُ الطالبِ مَع إخوانِهِ

٤٨- ومن أدب الطلب: أن لا يُكثِرَ الجدالَ:

قال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٧].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: **«أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»**(١٠٥).

قال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل. [رواه الآجُري في الشريعة بسند صحيح].

وقال مسلم بن يسار: إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم وبها يبتغي الشيطان زلته(١٠٦).

٤٩- ومن أدب الطلب: اتّخاذُ الصَّاحبِ الَجادّ:

وفي المقابل يجتنب الصديق السيء أو الكسلان خمول الهمة والذكر.

---

(١٠٥) [إسناده حسن]: رواه أبو داود (٤٨٠٠)، والبيهقي (١٠/ ٢٤٩)، والطبراني في الكبير (٨/ ١١٧) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وله شاهد عند الطبراني في الصغير (١١٦)، عن معاذ ابن جبل مرفوعًا، ولكن فيه محمد بن الحصين القصاص، قال عنه الدارقطني مجهول، وقال الطبراني: لا أعرفه، ووافقه ابن حجر.
والحديث حسنه الشيخ الألباني بمجموع الطريقين في «الصحيحة» (٢٧٣).

(١٠٦) أخرجه الدارمي (٣٩٦) [بإسناد صحيح].

ويكفيك في ذلك أن الله قد رفع شأن كلب، لمصاحبته وملازمته للصالحين الأخيار، قال سبحانه: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]. وقد ذكرنا في أوائل الرسالة أن عمر كان يتناوب هو وعتاب بن مالك في النزول على رسول الله ﷺ.

قال الشاعر:

وَاحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ	يُعْدِي كَمَا يُعْدِي الصَّحِيحَ الأَجْرَبُ
وَإِذَا الصَّدِيقُ لَقَيْتُهُ مُتَمَلِّقًا	فَهُوَ العَدُوُّ وَحَقُّهُ يُتَجَنَّبُ
لَا خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَمَلِّقٍ	حُلْوِ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
يَلْقَاكَ يَحْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَاثِقٌ	وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ العَقْرَبُ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرْفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً	وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ

٥٠- ومن أدب الطلب: عرضُ الأدلةِ بإنصافٍ:

يقول الشوكاني في [الأدب المفرد (ص٨٦)]: فإن الطالب يبالغ في إيراد أدلة مذهبه، ويطيل ذيل الكلام عليها، ويصرح تارة بأنها أدلة، وتارة بأنها حجج، وتارة بأنها صحيحة، ثم يطفف لخصمه المخالف فيورد أدلته بصيغة التمريض، ويعنونها بلفظ الشبه، وما يؤدي هذا المعنى.

قلت: بل يجب على الطالب الصادق أن ينظر فيما مع أخيه من أدلة، ويتأمل فيها فقد يكون الحق معه.

يقول الشافعي رحمه الله: ما ناظرت أحدًا إلا تمنيت أن يكون الحق معه.

وقد سُئل الإمام مالك في مجلسه عن غسل البراجم، فقال: لا أعلم فيها سنة، فلما انتهى المجلس قام إليه أحد التلامذة وهو عبد الله بن وهب، وقال: يا إمام حدثنا فلان عن فلان عن المستورد بن شداد أن النبي ﷺ كان يغسل بين أصابعه، فقال مالك: هذا حسن، وما سمعت به إلا اليوم، ثم في اليوم الثاني سُئل الإمام مالك عن غسل البراجم، فقال: أفادني هذا الغلام وأشار إليه أنه سُنة فهو سُنة. [البراجم: هي غسل ما بين أصابع اليدين والرجلين].

٥١- ومن أدب الطلب: أن يحترمَ الطالبُ مَنْ سبَقَه في العلمِ من إخوانِهِ:

فمن سبقك في العلم بعام أو أكثر فسوف يكون تحصيله بلا شك أكثر منك، فلابد أن تحترم هذا السبق؛ لأنه قد بذل نفسه ووقته وماله لهذا الدين قبل أن يمنَّ الله عليك مثله فلا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى.

ولهذا لما اختلف عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد وعبد الرحمن من المهاجرين الأولين، ومن العشرة المبشرين، غضب النبي ﷺ لعبدالرحمن وقال: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(١٠٧).

مع أن خالدًا من أصحابه، إلا أن عبد الرحمن أخص به وأقدم صحبة منه.

بل لما لم يقبل عمر اعتذار أبي بكر الصديق إليه، فبلغ ذلك رسول الله

---

(١٠٧) رواه البخاري «فتح» (١/ ١٦٤)، ومسلم «نووي» (١٣/ ٦٦).

ﷺ قال: «فَهَلْ أَنتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي» [مرتين] فما أوذي بعدها[١٠٨].

قال إسماعيل الخطبي: بلغني عن ابن المبارك أنه حضر عند حماد بن زيد، فقال أصحاب الحديث لحماد: سل أبا عبد الرحمن يُحدثنا. فقال: يا أبا عبد الرحمن تحدثهم، فإنهم قد سألوني.

قال: سبحان الله يا أبا إسماعيل أُحدِّث وأنت حاضر؟

فقال: أقسمت عليك لتفعلنَّ، فقال: خذوا، حدثنا أبو إسماعيل حماد ابن زيد فما حدث بحرف إلا عن حماد. . . وكان يقول لأصحاب الحديث: أنتم إلى قليل من الأدب أحوج منكم إلى كثير من العلم. [سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٢)].

٥٢- ومن أدب الطلب: لا تَسْألْ عمَّا لَمْ يَقَعْ:

عن أنس بن مالك قال: نُهينا أن نسأل رسول الله عن شيء[١٠٩].

قال النووي: يعني سؤال ما لا ضرورة إليه. اهـ.

وكان هذا حال سلفنا الصالح (يكرهون كثرة السؤال) والسؤال عما لم يقع ويقولون للسائل عنها: أكان ذلك؟ فإن قال: لا، قالوا: دعه حتى يقع ثم نجتهد فيه.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إياكم وهذا العضل فإنها إذا نزلت بعث الله إليها من يقيمها ويفسرها[١١٠].

---

(١٠٨) رواه البخاري (١١/ ٢٢٩).

(١٠٩) شرح صحيح مسلم (١/ ١٤٣).

(١١٠) سنده صحيح رواه بن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله».

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: أيها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله فيذهب بكم ها هنا وها هنا، فإنكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سُئل سدد أو قال وفق[١١١].

وعن الفضل بن زياد: أن رجلا سأل الإمام أحمد أسئلةً كثيرة، فقال له الإمام: يا هذا اسأل عن المسائل التي تنفعك، ثم قال له الإمام أحمد: ماذا تقول في رجل احتلم وهو صائم؟ فقال له السائل: لا أدري، فقال له الإمام أحمد: تترك ما تنتفع به وتسأل عما لا تنتفعُ به[١١٢].

قال ابن رجب الحنبلي: ليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق ويميز به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد[١١٣].

٥٣- ومن أدب الطلب: هضم حق النفس مع الإخوان والشيوخ وغيرهم:

فالتواضع هو الإكسير الذي يزيل قمم الثلوج فوق الجبال وما كُسر الكبر بمثل التواضع قال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [سورة الشعراء: آية ٢١٥].

قال القرطبي: أي ألِنْ جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم[١١٤].

---

(١١١) رواه الآجري في «أخلاق العلماء» (٨٧) من طريق طاوس عن معاذ بن جبل وإسناده حسن، ولكن رواية طاوس عن معاذ مرسلة.

(١١٢) «أخلاق العلماء» للآجري بسند حسن (٩٤).

(١١٣) «فضل علم السلف على الخلف» (ص٣٧).

(١١٤) تفسير القرطبي (١٣/١٤٤).

لذا قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ**»(١١٥).

قال ابن تيميَّة: فالمسكين المحمود هو المتواضع الخاشع لله ليس المراد بالمسكين عدم المال بل قد يكون الرجل فقيرًا من المال وهوجبار، فالمسكنة خلق في النفس وهو التواضع والخشوع واللين ضد الكبر(١١٦).

قال ابن كثير: وصفات المؤمنين الكمَّل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه متعززًا على خصمه وعدوه(١١٧).

وقال ﷺ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ**»(١١٨).

ومن صفات أهل التواضع:

(١) أنهم لا يحبون أن يشار إليهم بالبنان ولا يطأ أعقابهم أحد، فقد رأى ابن مسعود قوم يسيرون خلفه فنظر إليهم مغضبًا وقال: ارجعوا فإنها فتنة للمتبوع وذلة للتابع.

(٢) أن تعرف قدر نفسك، فلا تظن أن عندك علم من الدين لا يعرفه الشيوخ، فما نحن وهم إلا كما قيل: العلماء نور في السحاب ونحن نحبو أُغيلمة على التراب.

(٣) أن لا تعلو على أقرانك، ولا تفرح بالنيل منهم، ولا تحط من شأنهم، ولا تضخم ما ظهر من صغر صنيعهم، ولا تحقر أحسن أعمالهم:

---

(١١٥) [إسناده ضعيف جدًّا]: رواه عبد بن حميد في مسندة رقم (١٠٠٠)، وابن ماجه (٤١٢٦)، والخطيب البغدادي في تاريخه (٤/ ١١١) وغيرهم، وفيه أبو المبارك وهو مجهول، وفيه كذلك يزيد بن سنان الراوي عن أبي المبارك وهو ضعيف. والله أعلم.

(١١٦) مجموع الفتاوي (١٨/ ٣٨٢).

(١١٧) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٣).

(١١٨) مسلم مع الشرح (١٦/ ١٤٣).

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا   كَفَى بِالْمَرْءِ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ

فقد يكون أخوك أصغر منك سنًّا أو علمًا، ولكنه أسلم منك قلبًا وأقل منك ذنبًا وأعظم منك إلى الله قربة.

قال الفضيل بن عياض: من التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة، فإن رأيت لها قيمة فاعلم أنك ليس لك في التواضع نصيب. اهـ.

قال الحسن: وبينما ابن المبارك بالكوفة يقرأ عليه كتاب «المناسك» انتهى إلى حديثٍ وفيه: قال عبد الله وبه نأخذ، فقال: من كتب هذا من قولي؟ قلت: الكاتب الذي كتبه. فلم يزل يحكه بيده حتى درس، ثم قال: ومَن أنا حتى يُكتب قولي. [صفوة الصفوة (٤/ ١٣٥)].

وقال الحسن: وكنت مع ابن المبارك يومًا، فأتينا على سقايه والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس، فزحموه ودفعوه، فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا. يعني حيث لم نعرف ولم نوقر. [صفوة الصفوة (٤/ ١٣٥)].

❁ ❁ ❁

طَرَفٌ مِنْ
أدِبِ الطَّالِبِ مَعَ شَيْخِهِ



أدب الطالب مع شيخه

٥٤- ومن أدب الطلب الرفق في سؤال الشيخ مع مخاطبته بما يوقره:

قال سبحانه مخاطبًا أصحاب نبيه عليه الصلاة والسلام، وهو يعلمهم كيفية معاملتهم مع معلمهم ورسولهم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات: ٢، ٣].

قال القرطبي في [تفسيره (١٦/٣٠٦)]: معنى الآية الأمر بتعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره. وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته... وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام... وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفًا لهم إذ هم ورثة الأنبياء.

قال أبو بكر بن العربي: حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًّا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قُرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه.

قال عروة بن مسعود وهو يصف لكفار قريش حال الصحابة مع معلمهم ﷺ قال: وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده(١١٩)، وما

(١١٩) رواه البخاري (٧/٢١)، ومسلم (١٦/٢٣)، وأحمد في المسند (٣/١١).

يحدون إليه النظر تعظيمًا له.

وقال ﷺ: «**مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[١٢٠].

قال ابن جريج: لم أستخرج الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به. [جامع بيان العلم (١/ ٣٨٢)] لابن عبد البر.

قال الإمام الذهبي: أدب السائل أنفع من الوسائل.

٥٥- ومن أدب الطلب الإنصات عندما يتكلم الشيخ:

وذلك أن العالم دومًا يذكر بكتاب الله.

قال سبحانه مرشدًا أصحاب نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

قال القرطبي في [التفسير ٨/ ٣٥٣]: وفيه مسألتان:

الأولى: . . . قيل إن هذا نزل في الصلاة، رُوي عن ابن مسعود وأبي هريرة وجابر. . . وغيرهم، وقيل: إنها نزلت في الخطبة قاله سعيد بن جبير ومجاهد. . . وغيرهم وهذا ضعيف.

وذكر ابن جرير الطبري عن سعيد بن جبير أيضًا: أن هذا من الإنصات يوم الأضحى ويوم الفطر، ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام فهو عام، وهو الصحيح؛ لأنه يجمع ما أوجبته هذه الآية وغيرها من السنة في

---

(١٢٠) رواه البخاري (٧/ ٢٢) المغازي.

الإنصات. اهـ.

قلت: والمعلم في الحقيقة إذا تكلم فإما أن يتكلم بذكر آية أو حديث أو فائدة شرعية، ففي كل الحالات ينبغي الإنصات.

وقد حث النبي ﷺ على ذلك، فعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع: «**اسْتَنْصِتِ النَّاسَ**»(١٢١).

وقال عطاء: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يُولد(١٢٢).

وقال الزرنوجي: وينبغي لطالب العلم أن يستمع العلم والحكمة بالتعظيم والحرمة، وإن سمع مسألة واحدة ألف مرة. وقيل: من لم يكن يعظمه بعد ألف مرة كتعظيمه في أول مرة فليس بأهل للعلم(١٢٣).

٥٦- ومن أدب الطلب: أن لا تغتاب أحدًا في مجلس الشيخ:

لأن ذكرك أحد إخوانك المسلمين بسوء هو من المحرمات كما قال سبحانه: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(١٢٤).

وقال رسول الله ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،

---

(١٢١) أخرجه أحمد (٤/٣٥٨)، البخاري (١٢١) من حديث جرير بن عبد الله البجلي، ومسلم (١/٥٨)، والدارمي (١٩٢٧)، وابن ماجه (٣٩٤٢)، والنسائي (٧/١٢٧)، والكبرى (٣٢٣٦) تحفة. اهـ.

(١٢٢) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/٨٦).

(١٢٣) انظر تعليم المتعلم (ص٥٣).

(١٢٤) سورة الحجرات آيه (١٢).

قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَد اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[١٢٥].

وقال رسول الله ﷺ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِن الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»[١٢٦].

وسأل رجلٌ النبي ﷺ فقال: أيُّ المسلمين خير؟ قال: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ ويَدِهِ»[١٢٧]. قال ابن حجر في الفتح: والحديث عام بالنسبة إلى اللسان دون اليد لأن اللسان يمكنه القول في الماضيين والموجودين والحادثين بعد بخلاف اليد. نعم. يمكن أن تشارك اللسان في ذلك بالكتابة وإن أثرها في ذلك عظيم[١٢٨].

وقال سفيان بن حسين: ذكرت رجلا بسوء في مجلس إياس بن معاوية فنظر في وجهي وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا، قال: فالسند والهند والترك؟ قلت: لا. قال: سلم منك السند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟ قال: فلم أعُد بعدها[١٢٩]:

كَتَبْتُ وَقَدْ أَيْقَنْتُ يَوْمَ كِتَابَتِي ... بِأَنَّ يَدِي تَفْنَى وَيَبْقَى كِتَابُهَا

فَإِنْ عَمِلْتَ خَيْرًا سَتُجْزَى بِمِثْلِهِ ... وإِنْ عَمِلْتَ شَرًّا عَلَيَّ حِسَابُهَا

قال ابن حبان: الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه

(١٢٥) رواه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.
(١٢٦) رواه البخاري (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧) واللفظ لمسلم.
(١٢٧) رواه البخاري (٤/ ١٦١) من حديث عبد الله بن عمرو، ومسلم (٤/ ١٧٨).
(١٢٨) فتح الباري (١/ ٦٩).
(١٢٩) البداية والنهاية لأبن كثير (١٣/ ١٢١).

التكلم، فما أكثر من ندم إذا نطق وأقل من يندم إذا سكت، وأطول الناس شقاءً وأعظمهم بلاءً من ابتلى بلسان مطلق وفؤاد مطبق(١٣٠).

وقال: الواجب على العاقل أن ينصف أذنيه من فيه، ويعلم أنه إنما جُعلت له أذنان وفم واحد ليسمع أكثر مما يقول؛ لأنه إذا قال ندم وإن لم يقل لم يندم وهو على رد ما لم يقل أقدر منه على رد ما قال والكلمة إذا تكلم بها ملكته وإن لم يتكلم بها ملكها(١٣١).

وقال: لسان العاقل يكون وراء قلبه فإذا أراد القول رجع إلى القلب، فإن كان له قال وإلا فلا، والجاهل قلبه في طرف لسانه ما أتى على لسانه تكلم به وما عقل دينه من لم يحفظ لسانه(١٣٢).

وقال يحيى بن أبي كثير: ما صلح منطق رجل إلا عرفت ذلك في سائر عمله ولا فسد منطق رجل قط إلا عرفت ذلك في سائر عمله(١٣٣).

٥٧- ومن أدب الطلب: توقير الشيخ وإظهار الهيبة له في كل الأحوال:

قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، ويُوَقِّر كَبِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا»(١٣٤).

---

(١٣٠) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي (صـ ٤٥:٤٩).

(١٣١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي (صـ ٤٥:٤٩).

(١٣٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي (صـ ٤٥:٤٩).

(١٣٣) «روضة العقلاء» (ص٤٩).

(١٣٤) [صحيح بمجموع طرقه]: رواه عبد بن حميد (٥٨٤)، من حديث ابن عباس مرفوعًا، وفيه علتان:

الأولى: ضعف ليث بن أبي سليم.

والثانية: شريك بن عبد الله، وهو سيء الحفظ. ورواه البخاري في الأدب المفرد (٣٥٣)، =

وفي الطبقات لابن سعد بسند صحيح (٢/ ٢/ ١١٦) عن الشعبي قال: أخذ ابن عباس بركاب فرس زيد بن ثابت، فقال له زيد: تنح عني يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا[١٣٥].

ودخل الإمام مسلم على الإمام البخاري فقبله بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله[١٣٦].

= والحاكم (٤/ ١٧٨)، من حديث أبي هريرة بسند حسن، وله شاهد ثالث من حديث أنس ابن مالك عند الترمذي (١٩١٩)، وفيه زربي بن عبد الله، قد ضعفه البخاري والترمذي وفيه كذلك عبيد بن واقد وهو ضعيف.

وله شاهدرابع من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا عند أبي داود (٤٩٤٣)، وفيه عبيد الله ابن عامر، وهو لين الحديث، ولكن تابعه عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عند الترمذي (١٩٢٠)، فهو حسن وإن كان في الطريق إليه محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن.

وله شاهد خامس من حديث أبي أمامة مرفوعًا عند البخاري في الأدب المفرد (٣٥٦)، ولكن فيه الوليد بن جميل وهو لين الحديث ثم إن أحاديثه عن شيخه في هذا الحديث، وهو القاسم بن عبد الرحمن منكرة، وكل هؤلاء جميعًا بلفظ **«ويعرف لعالمنا»**، دون زيادة حقه.

ولكن لفظة حقه وردت عند أحمد (٥/ ٣٢٣) مع أطراف المسند (١/ الورقة١٠٤) من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا، ولكن في الطريق إليه حيَّ بن هاني المعافري «أبو قبيل» وهو صدوق يهم، وعليه فإن هذه اللفظة من أوهامه؛ لأنه تفرد به دون غيره من الرواة الثقات. ثم إن حيَّ بن هاني لم يسمع من عبادة بن الصامت فالسند منقطع. وهناك شاهد من حديث ابن عباس عند الطبراني في الكبير (١١/ ١٢٢٧٦)، وسنده تالف، فيه محمد بن عبيدالله العزرمي وهو متروك، وقد حسن العلامة الألباني هذه الزيادة في «صحيح الجامع» (٥٤٤٣)، وصحح الحديث في «الصحيحة» (٢١٩٦). وذهب شيخنا أبو عبد الله مصطفى ابن العدوي إلى أن الحديث صحيح بمجموع طرقه، ولكن بدون لفظة **«حقه»** والله أعلم.

(١٣٥) [أثر صحيح]: رواه الخطيب في «الجامع» (٣٠٧)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٦٠)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ٤٧٤٦) بدون زيادة تقبيل زيد بن ثابت ليد ابن عباس، وصحح الأثر ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٥٤٣). وقال الهيثمي في «المجمع»: رجاله رجال الصحيح غير رزين الرماني وهو ثقة.

(١٣٦) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخه» (١٣/ ١٠٢)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ =

قال ابن مفلح في [الآداب الشرعية (١/ ٢٢٦)]: قال الثوري عن مغيرة قال: كنا نهاب إبراهيم كما نهاب الأمير، وكذلك أصحاب مالك مع مالك لذلك قال الشاعر:

يَأْبى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجَعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ

أَدَبُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى فَهُوَ الْأَمِيرُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

وفي [الإلماع (ص٢٤٣)] قال إسحاق بن راهويه: جاء فتى إلى سفيان ابن عيينة فجذبه من خلفه، وقال يا سفيان حدثني، فالتفت إليه سفيان، وقال: يا فتى إنه من جهل أقدار الناس فهو بقدر نفسه أجهل.

قال ابن جماعة في [تذكرة السامع]: وعليه أن يعرف للشيخ حقه، ولا ينسى فضله، وأن يعظم حرمته ويرد غيبته، ويغضب له، فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس.

ومن جملة التوقير تقبيل يد الشيخ ولهذا الأمر أدلة من السنة وآثار عن السلف الصالح:

قال في تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي(١٣٧) في شرحه على حديث صفوان بن عسال والحديث يدل على جواز تقبيل اليد والرجل... وقال النووي: وتقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه، أو علمه، أو شرفه، أو صيانته، أو نحو ذلك من الأمور الدينية لا يكره، بل يستحب، فإن كان لغناه أو شوكته أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه شديد الكراهة(١٣٨). اهـ.

= ١٠٣).

(١٣٧) تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي (٧/ ٥٢٧).

(١٣٨) نفس المصدر السابق.

وقد جمعت في ذلك بعض الأحاديث والآثار عن سلفنا الصالح وإليك بعضها:

١- روى أحمد (٢/ ٧٠)، وابن أبي شيبة (٨/ ٧٤٩) والبخاري في [الأدب المفرد (١٠٠١)]، والترمذي (١/ ٣٢٠)، وقال: حديث حسن لا نعرفه إلا من طريق يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن ابن عمر مرفوعًا في حديث رجوعهم من إحدى السرايا، قال ابن عمر: فقبلنا يد رسول الله ﷺ، ولكن الحديث فيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف، قد تغير فصار يلقن.

٢- وروى الخطيب في [جامعه (١/ ١٩٠)] من حديث أسامه بن شريك أنه قَبَّلَ يد رسول الله ﷺ[١٣٩].

٣- وأخرج أحمد (٤/ ٢٣٩)، والترمذي (٢٧٣٣)، وقال [حسن صحيح]، وابن ماجه (٣٧٠٥)، من حديث صفوان بن عسال، أن يهوديين أسلما فَقَبَّلا يدي ورجلاي رسول الله ﷺ. ولكن الحديث فيه عبد الله بن سلمة، وكنيته أبو العالية الكوفي وهو ضعيف وبقية رجاله ثقات.

٤- وعند أبي داود (٥٢٢٥) والبغوي في معجم الصحابة، وقال: لا أعلم للزارع غير هذا الحديث.

قال ابن عبد البر: حديثه عند البصريين، وهذا [حديث حسن]، من حديث زارع بن عامر أنه قدم مع وفد عبد بن قيس، فقبلوا يد رسول الله ﷺ ورجله. ولكن الحديث فيه أم أبان بنت الوازع [مقبولة]. وحيث إنه لا متابع

---

(١٣٩) قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٧/ ٥٢٨). [سنده جيد].

قلت: بل فيه أبو هشام الرفاعي، وهو ضعيف، وكذلك الراوي عنه هو عبد الرحمن بن الحسن الزنجي، ذكره الخطيب في تاريخه (١٠/ ٢٨٦)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

لها في رواية هذا الحديث فهي لينة كما نص على ذلك ابن حجر في مقدمة التقريب. والله أعلم.

٥- وروى البزار (٣/ ١٣٢)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٢)، من حديث بريدة في قصة الأعرابي والشجرة، أن الأعرابي قَبَّلَ يدي النبي ﷺ ورجليه. ولكن فيه صالح بن حيان، وهو ضعيف، وكذلك حيان بن علي ضعيف الحديث.

٦- وروى أحمد (٤/ ١٦١) والدارمي (١٣٦٧)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٦١٨)، من حديث يزيد بن الأسود السوائي، أنه أخذ يد النبي ﷺ فجعل يمسح بها وجهه، فقال: وجدتها أبرد من الثلج وأطيب من ريح المسك. [وإسناده حسن] رجاله ثقات غير جابر بن يزيد السوائي، فهو صدوق.

٧- وروى أبو داود (٥٢٢٤) من حديث أسيد بن حضير، أن رجلًا من الأنصار قبل كشح رسول الله ﷺ. [وإسناده صحيح]، ورجاله كلهم ثقات.

٨- قال ابن بطال: وقَبَّلَ أبو لبابة[١٤٠] وكعب بن مالك وصاحباه يد النبي ﷺ حيث تاب الله عليهم. [ذكره الأبهري].

وقال الأبهري: إنما كرهها مالك إذا كانت على وجه التعظيم والتكبر، وأما إذا كانت على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه، فإن ذلك جائز.

٩- وأخرج البخاري في [الأدب المفرد (١٠٠٢)]، وأحمد (٤/ ٥٤)، من حديث عبد الرحمن بن رزين «الغافقي» أنه قَبَّلَ يد سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، [وإسناده حسن]، وفي طريق السند عطاف بن خالد، وقد قال أحمد

---

(١٤٠) تحفة الأحوذي (٧/ ٥٢٨)، وابن حجر في الفتح (١١/ ٧٩)، كتاب الاستئذان.

وابن معين: لا بأس به. وأبو زرعة: ثقة. وقال النسائي: لا بأس به.

١٠- وأخرج البخاري في [الأدب المفرد (١٠٠٣)]: أن ثابت البناني قَبَّلَ يد أنس بن مالك. ولكن في الطريق علي بن زيد بن جدعان. وهو ضعيف.

١١- وعند البخاري في [الأدب المفرد (٩٧٦)]: من حديث صهيب مولى العباس بن عبد المطلب أن علي بن أبي طالب قَبَّلَ يد العباس ورجليه، ولكن صهيب مولى العباس لم يوثقه سوى ابن حبان. وقال ابن حجر: صدوق.

١٢- روى الخطيب في [تاريخه (١٣/ ١٠٢)]، وابن كثير في [البداية والنهاية (١١/ ١٠٣)]: أن الإمام مسلم دخل على الإمام البخاري فقبله بين عينيه. وقال: دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وطبيب الحديث في علله.

١٣- قال ابن المقري: وقد قبَّل أبو مالك الأشجعي يد ابن أبي أوفى[١٤١].

فالأحاديث وإن كان فيها مقال، وكذلك آثار الصحابة إلا أنها تدل على وجود هذا الأمر في عهد النبوة وعهد سلفنا الصالح رضي الله عنهم.

قال ابن مفلح في [الآداب الشرعية (٢/ ٢٥٨). ط مؤسسة قرطبة]: وتباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تدينًا وإكرامًا واحترامًا، مع أمن الشهوة. وظاهر هذا عدم إباحته لأمر الدنيا.

قال المروزي: سألت أبا عبد الله «الإمام أحمد» عن قُبلةِ اليد، فقال:

---

(١٤١) رواه البيهقي في دلائل النبوة، وابن المقري.

إن كان على طريق التدين فلا بأس به. قد قَبَّل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وإن كان على طريق الدنيا فلا، إلا رجل يخاف سيفه أو سوطه...

وقال تميم بن سلمة التابعي: القبلة سُنَّة.

وقال مهنأ بن يحيى: رأيت أبا عبد الله كثيرًا يُقبل وجهه ورأسه وخده، ولا يقول شيئًا. ورأيته لا يمتنع من ذلك ولا يكرهه. ورأيت سليمان بن داود الهاشمي يقبل جبهته ورأسه، ولا يمتنع من ذلك، ولا يكرهه، ورأيت يعقوب بن إبراهيم يقبل وجهه وجبهته.

وقال عبد الله بن أحمد: رأيت كثيرًا من العلماء والفقهاء والمحدثين وبني هاشم وقريش والأنصار يقبلونه «يعني أباه»، بعضهم يديه وبعضهم رأسه، ويعظمونه تعظيمًا لم أرهم يفعلون ذلك بأحد من الفقهاء غيره، لم أره يشتهي أن يُفعل به ذلك.

وقال إسماعيل بن إسحاق الثقفي: سألت أبا عبد الله. قلت: ترى أن يقبل الرجل رأس الرجل أو يده؟ قال: نعم.

وقال الشيخ تقي الدين: ورخص فيه أكثر العلماء كأحمد وغيره على وجه الدين، وكرهه آخرون كمالك وغيره.

قال الخطيب البغدادي في «أخلاق الراوي»: وإذا خاطب الطالب المحدث عظمه في خطابه بنسبته إياه إلى العلم مثل أن يقول له: أيها المعلم، أو أيها الحافظ ونحو لك. وينبغي أن يكون مقعد الطالب من المحدث بمنزلة مقعد الصبي من المعلم، ويجب أن يقبل بوجهه على المحدث، ولا يلتفت عنه، ولا يُسار أحدًا في مجلسه، ولا يحكي عن غيره خلاف روايته.

قال يحيى بن يحيى الأندلسي: كنا في مجلس مالك، فاستؤذن لابن المبارك، فرأينا مالكًا تزحزح له في مجلسه ثم أقعده بلصقه، ولم أره تزحزح لأحد في مجلسه غيره، فكان القارئ يقرأ على مالك، فربما مرَّ بشيء فيسأله مالك ما عندكم في هذا ؟ فكان عبد الله يجيبه بالخفاء، ثم قام فخرج فأُعجب مالك بأدبه، ثم قال لنا: هذا ابن المبارك فقيه خراسان. [تهذيب التهذيب (٥/ ٣٣٧)].

٥٨- ومن أدب طلب العلم: أن يتحمل جفوة الشيخ:

فلا يصده ذلك عن ملازمته. واعتقاد كماله، ويتأول لأقواله وأفعاله التي ظاهرها الفساد تأويلات صحيحة، فما يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق أو عديمه.

وإذا جفاه الشيخ ابتدأ هو بالاعتذار إلى الشيخ، وأظهر أن الذنب له والعتب عليه، فذلك أنفع له في الدنيا والآخرة، وأبقى لقلب شيخه.

وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكر: نعم يا رب، ثم رجع بنفقته على مسطح بن أُثاثة(١٤٢).

فلا يجوز للطالب أن يهجر شيخه أو يترك مجلسه، ولا أن يقلل من شأن

(١٤٢) رواه البخاري (٥/٣٨٨ - ٣٩٢)، وأحمد (٤/٣٢٣).

شيخه خاصة عند اختلاف المسائل التي وسعت من كان قبلنا، والخلاف فيها قديم.

وعند البخاري في صحيحه في كتاب [فضائل الصحابة (٣٦٦١)]: في حديث «أن أبا بكر أخطأ في عمر لأمر كان بينهما، ثم جاء الصديق يعتذر إليه فلم يقبل عمر منه الاعتذار، فذهب أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، ليحكي له ما حدث، فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا على عمر، وكيف لا يقبل اعتذار الصديق إليه».

وإليك نص الحديث لتأخذ منه العبرة: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: **«أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ»** فَسَلَّمَ وَقَالَ: يا رسول الله إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي، فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: **«يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ»** ثَلَاثًا ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ أَثَّمَ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟»** مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا.

قال ابن حجر في [الفتح (٧/ ٣١)]: وفي الحديث من الفوائد فضل أبي بكر على جميع الصحابة، وأن الفاضل لا ينبغي له أن يغاضب من هو أفضل منه، وفيه جواز مدح المرء في وجهه، ومحله إذا أمن عليه الافتتان والاغترار.

وفيه ما طبع عليه الإنسان من البشرية حتى يحمله الغضب على ارتكاب خلاف الأولى.

لكن الفاضل في الدين يُسرع الرجوع إلى الأولى، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١].

٥٩- ومن أدب الطلب: دعاء الطالب لشيخه حيًّا وميتًا:

قال النووي في [التبيان (ص٣٩)]: وقد كان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء، وقال: اللهمَّ استر عيب معلمي عني، ولا تذهب بركة علمه عني.

وفي [حلية الأولياء (٩/ ٩٧)] أن الإمام أحمد قال لولد الشافعي: إن أباك ضمن ستة أدعو لهم في كل صلاة.

وقال الليث: إني لأدعو لمالك في صلاتي. «ترتيب المدارك لمذهب مالك» (١/ ٦٨).

قال ابن جماعة: وينبغي أن يدعو له مدة حياته، ويرعى ذمته وأقاربه، وأولاده بعد وفاته ويتعمد زيارة قبره، والاستغفار له، والصدقة عنه. وفي الحديث: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ غَيْبٍ قَالَ له الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(١٤٣).

❁ ❁ ❁

(١٤٣) [إسناده صحيح]: رواه أحمد (٥/ ١٩٥)، عبد بن حميد (٢٠١)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٢٥)، ومسلم (٢٧٣٣)، وابن ماجه (٢٨٩٥)، وأبو داود (١٥٣٤)، بلفظ: «**دُعَاءُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**».

٦٠- ومن أدب الطلب: التبكير إلى مجلس الشيخ:

فعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: كنت ربما أردت البكور إلى الحديث، فتأخذ أمي بثوبي وتقول: حتى يؤذن الناس وحتى يصبحوا، وكنت ربما بكرت إلى مجلس أبي بكر بن عياش وغيره [الجامع للخطيب (١/ ١٥١)].

قلت: وعلى كل فالتبكير كله خير ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»**(١٤٤).

---

(١٤٤) [صحيح لشواهده]: رواه أحمد (٣/ ٤١٦)، والطيالسي (١٢٤٦)، والدارمي (٢٤٤٠)، وعبد بن حميد (٤٣١)، والترمذي (١٢١٢)، وغيرهم من حديث صخر الغامدي مرفوعًا، ولكن فيه عمارة بن حديد، قال عنه الذهبي في الميزان مجهول.
ورواه أحمد (١/ ١٥٣)، والبزار (٢/ ٧٩)، من حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا وفيه عبدالرحمن بن إسحاق ضعيف. ورواه ابن ماجه (٢٢٣٦)، من حديث أبي هريرة بزيادة لفظة «يوم الخميس»، أو «السبت» ولكنه فيه عبد الرحمن بن أبي الزناد، قال فيه: الإمام أحمد مضطرب الحديث، وضعفه النسائي وابن معين. ورواه الطبراني في الأوسط (١٩٥١) من حديثه جابر بن عبد الله مرفوعًا. وليس فيه إلا أحمد بن مسعود المقدسي شيخ الطبراني. قال عنه الذهبي في السير: المحدث الإمام.
وفيه عنعنة ابن الزبير عن جابر، ولكن هذه العنعنة لا تضر؛ لأنها من طريق الليث بن سعد، وروايته عنه صحيحة.
ورواه عبد بن حميد [٧٥] من حديث ابن عمر، وفيه عبد الرحمن بن أبي بكر الجدعاني، وهو ضعيف.
ورواه الطبراني في [الكبير (١٠/ ٢٥٧)] من حديث ابن مسعود وفيه علي بن عباس وهو ضعيف.
والحديث قد روي عن ابن عباس، وبريدة، وأنس، وأبي ذر، وعمران بن حصين، وأبي رافع وغيرهم، بأسانيد فيها مقال، وقال أبو حاتم في العلل (٢/ ٢٦٧): لا أعلم فيه حديثًا =

٦١- ومن أدب الطلب: تحية شيخه بحفاوة خاصة:

قال النووي - رحمه الله - في [التبيان (ص٣٩)]: من حق العالم عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه دونهم بالتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تشيرنَّ عنده بيدك، ولا تغمزنَّ بعينك، ولا تقولنَّ فلان قال خلافًا لقوله، ولا تغتابنَّ عنده أحدًا، ولا تُسارر في مجلسه، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تعرض «أي تشبع» من طول صحبته، وإذا حضر والشيخ يتكلم جلس حيث انتهى به المجلس إلا أن يأذن له الشيخ في التقدم، ولا يجلس في وسط الحلقة إلا لضرورة، ولا يجلس بين صاحبين بغير إذنهما، فإن فسحا له قعد وضمَّ نفسه، وينبغي أن ينقاد لمعلمه ويشاوره في أموره ويقبل قوله كالمريض العاقل يقبل قول الطبيب الناصح الحاذق، وهذا أولى، وينبغي عليه أن يتواضع لمعلمه، ويتأدب معه، وإن كان أصغر منه سنًّا وأقل شهرة ونسبًا وصلاحًا وغير ذلك.

= صحيحًا.

وقال ابن الجوزي في العلل (١/ ٣١٨): لا يثبت من هذه الأحاديث شيء كلها ضعيفة، ووافقه على ذلك الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٤/ ٢٥٩)، والذهبي في الميزان (٣/ ١٧٥).

وقد ذهب العلامة الألباني إلى تصحيح هذا الحديث في صحيح الجامع (١٣٠٠)، والمشكاة (٣٩٠٨).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ١٣٣): وقد اعتنى بعض الحفاظ بجمع طرقه فبلغ عدد ما جاء عنه من الصحابة نحو عشرين نفسًا. اهـ.

وذكره السيوطي في قطف الأزهار رقم (٧٢) والزبيدي في لقط اللآلئ رقم (٣٨)، وعدوه من الأحاديث المتواترة. وذهب شيخنا/ أبو عبد الله العدوي إلى أنه [صحيح لشواهده]. وذهب الشيخ أبو إسحاق الحويني إلى تصحيحه في العوالي المنتقاة (٨٥) والله أعلم.

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالِي كَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالي

وإذا وجد الشيخ نائمًا أو مشتغلًا بمهم لم يستأذن عليه، بل يصبر إلى استيقاظه وفراغه، أو ينصرف، والصبر أولى كما كان ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره يفعلون.

فائدة:

قال الشوكاني في [أدب الطلب]:

فاعلم أن أعظم العلم فائدة وأكثرها نفعًا، وأوسعها قدرًا وأجلها خطرًا علم السنة المطهرة، فإنه الذي تكفل ببيان الكتاب العزيز، بل أقول: إنه ينبغي لطالب العلم بعد أن يقيم لسانه بما يحتاج إليه من النحو أن يُقبل على سماع الكتب التي جمع فيها أهل العلم متون الأحاديث مقطوعة الأسانيد [كجامع الأصول، والمشارق، وكنز العمال، والمنتقى لابن تيمية، وبلوغ المرام لابن حجر، والعمدة]، ثم يسمع الكتب التي فيها الأسانيد [كالأمهات الست، ومسند أحمد، وصحيح ابن خزيمة، وابن حبان، وابن الجارود، وسنن الدارقطني والبيهقي].

فإذا فرغ من سماع كتب المتن والإسناد، اشتغل بشروح هذه المؤلفات، فيسمع فيها ما تيسر له سماعه، ويطالع ما لم يتيسر له سماعه، ويكثر من النظر في المؤلفات في علم الجرح والتعديل، بل يتوسع في هذا العلم بكل ممكن، وأنفع ما ينتفع به مثل [سير أعلام النبلاء، تاريخ الإسلام، وتذكرة الحفاظ، والميزان].

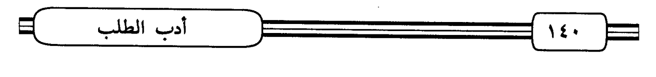
وهذا بعد أن يشتغل بشيء من علم المصطلح [كمؤلفات ابن الصلاح، والألفية للعراقي وشروحها]. اهـ.

قال ابن عبد البر في [جامع بيان العلم (١/ ٥٨٢)]: قال المأمون يومًا:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ العِلْمَ بِالتَّعْلِيمِ وَالْحِفْظِ وَالإِتْقَانِ وَالتَّفَهُّمِ
وَالعِلْمُ قَدْ يُرْزَقُهُ الصَّغِيرُ فِي سنِّهِ وَيحرمُ الكَبِيرُ
وَإِنَّمَا المَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ لَيْسَ بِرِجْلَيْهِ وَلَا يَدَيْهِ
لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ المُرَكَّبُ فِي صَدْرِهِ وَذَلِكَ خُلُقٌ عَجبُ
وَالعِلْمُ بِالفَهمِ والمُذَاكَرَةِ والدَّرْسِ وَالفكرةِ والمُنَاظَرَةِ
فَرُبَّ إِنْسَانٍ يَنَالُ الحِفْظَا وَيوردُ النَّصَّ وَيَحْكِي اللَّفْظَا
وَمَالُهُ فِي غَيْرِهِ نَصِيبُ مِمَّا حَوَاهُ العَالمُ الأَدِيبُ
وَرُبَّ ذِي حِرصٍ شَدِيدِ الحبِّ للعِلْمِ وَالذِّكْرِ بَلِيدِ القَلْبِ
معجزٍ فِي الحِفْظِ وَالروايةِ لَيْسَتْ لَهُ عَمَّنْ رَوَى حِكَايَةٌ
وَآخرُ يعطِي بِلا اجْتِهَادٍ حِفْظًا لِمَا قَدْ جَاء فِي الإِسْنَادِ
بِهَدَّةِ القَلْبِ لَا بِنَاظِرِهِ لَيْسَ بِمضطرٍّ إِلَى قَمَاطِره
فَالْتَمِسِ العِلْمَ وَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ وَالعِلْمُ لَا يحسُنُ إِلَّا بَالأَدَبِ
وَالأَدَبُ النَّافِعُ حسنُ السمت وَفِي كَثِيرِ القَوْلِ بَعضُ المَقْتِ
فَكُنْ لحسنِ السَّمْتِ مَا حَيِيتَا مقَارِنًا تحمدُ مَا بَقِيتَا
وَإِنَّ بَدَتْ بَيْنَ النَّاسِ مَسْأَلَةٌ مُعْرُوفةٌ فِي العِلْمِ أَوْ مُفتعلةٌ
فَلَا تَكُنْ إِلَى الجَوَابِ سَابِقًا حَتَّى تَرَى غَيْرَكَ فِيهَا نَاطِقًا
فَكَمْ رَأَيْتَ مِنْ عجولٍ سَابِقٍ مِنْ غَيْرِ فِهْمٍ بِالخَطَأِ نَاطِقٍ
أَزْرَى بِهِ ذَلِكَ فِي المَجَالِسِ عِنْدَ ذَوِي الأَلْبَابِ وَالتَّنَافُسِ

وَقُلْ إِذَا أَعْيَاكَ ذَاكَ الأَمْرُ ... مَالِي بِمَا تَسْأَلُ عَنْهُ خَبَرُ
فَذَاكَ شِطْرُ العِلْمِ عِنْدَ العُلَمَا ... كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُولُ الحكَمَا
وَالصَّمْتُ فَاعْلَمْ بِكَ حَقًّا أَزْيَنُ ... إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ علمٌ مُتْقِنُ
إِيَّاكَ وَالعجبَ بِفَضْلٍ رَأْيِكَا ... وَاحْذَرْ جَوَابَ القَوْلِ مِنْ خَطَائِكَا
كَمْ مِنْ جَوَابٍ عَقبَ النَّدَامَةِ ... فَاغْتَنِمِ الصَّمْتَ مَعَ السَّلَامَةِ
العِلْمُ بَحْرٌ مُنْتَهَاهُ يَبعدُ ... لَيْسَ لَهُ حَدٌّ إِلَيْهِ يُقْصَدُ
وَلَيْسَ كُلُّ العِلْمِ قَدْ حَوَيْتَهُ ... أَجلْ وَلَا العشرَ وَلَوْ أَحْصَيتَهُ
وَمَا بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْهُ أَكْثَرُ ... مِمَّا عَمِلتَ وَالجَوَادِ يعثرُ
فَكُنْ لِمَا سَمِعْتَهُ مُسْتَفْهِما ... إِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْهمْ مِنْهُ الْكَلِمَا
القَوْلُ قَوْلَانِ فَقَوْلُهُ تَعَقلُهُ ... وَآخَرٌ تسمعُهُ فَتَجْهَلُهُ
وَكُلُّ قَوْلٍ فَلَهُ جَوَابٌ ... يَجْمَعُهُ البَاطِلُ والصَّوَابُ
وَلِلْكَلَامِ أَوَّلٌ وَآخرٌ ... فَافْهَمْهُما وَالذِّهْنُ مِنْكَ حَاضِرُ
لَا تَدْفَعِ القَوْلَ وَلَا تَرُدُّهُ ... حَتَّى يُؤَدِيَكَ إِلَى مَا بَعْدَهُ
فَرُبَّمَا أَعيا ذَوِي الفَضَائِلِ ... جَوَابُ مَا يلقى مِنَ المَسَائِلِ
فَيَمْسِكُوا بِالصَّمْتِ عَنْ جَوَابِهِ ... عِنْدَ اعْتِرَاضِ الشَّكِّ فِي صَوَابِهِ
وَلَوْ لَمْ يَكُنِ القَوْلُ فِي القِيَاسِ ... من فِضةٍ بَيْضَاء عِنْدَ النَّاسِ
إِذًا لَكَانَ الصَّمْتُ عَينٌ مِنْ خَيْرٍ ... فَافهمْ هَدَاكَ اللَّهُ آدَاب الطَّلَبِ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفهرس



فاكـــس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمـول : ٠١٠١٩٠٠٠٣٨٠